ثقافات الشعوب

@ketab_n
6.12.2014

نبع الفجر السعيد

حكايات شعبية من رومانيا

جمع: مايت كرمينيتس
ترجمة: ميسون جحا

نبع الفجر السعيد

حكايات شعبية من رومانيا

جمع:
مايت كرمينيتس

ترجمة:
ميسون جحا

كلمة
KALIMA

أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

نبع الفجر السعيد

حكايات شعبية من رومانيا

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

نبع الفجر السعيد: حكايات شعبية من رومانيا

© حقوق الطبع محفوظة
هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)
الطبعة الأولى 1431 هـ 2010 م

PZ 8.K91.R012 2010
Kremniz, Marie Charlotte Von Bardeleben, 1852-1916.
[Roumanian Fairy Tales]
نبع الفجر السعيد: حكايات شعبية من رومانيا/ جمع مايت كرمينيتس؛ ترجمة ميسون جحا.
– ط.1.– أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2010.
160\ص؛ 19x12.5 سم. (سلسلة ثقافات الشعوب).
تدمك: 2- 340-01-9948-978
ترجمة كتاب: Roumanian Fairy Tales
1 – القصص الشعبية الرومانية. 2 – الحكايات الرومانية. أ– جحا، ميسون. ب– العنوان.

مراجعة وتحرير: سامر أبوهواش
إخراج وتصميم: أحمد عبد الله النتان

info@kalima.ae
www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ ،
فاكس: 462 6314 2 971+

www.adach.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ ،
فاكس: 059 6336 2 971+

إن هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة) غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره وإنما تعبّر آراء الكتاب عن مؤلفها.

حقوق الترجمة العربية محفوظة لكلمة

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

Twitter: @ketab_n

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
هذه السلسلة	7
تقديم	9
أختان غير شقيقتين	12
الفتى الفقير	23
جاك المدلل	53
تيلير شين	73
نبع الفجر السعيد	89

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

هذه السلسلة

تأتي هذه السلسلة التي تجمع تراث الشعوب من الحكايات والأساطير والخرافات الشعبية، منسجمة مع الأهداف والقيم التي اختطتها لنفسها مبادرة «كلمة» منذ البداية، كمشروع رائد للترجمة في العالم العربي. تلك القيم والأهداف التي تسعى أبوظبي إلى تجسيدها، لتشيع ثقافة التسامح والحوار، وبناء جسور التواصل بين شعوب الأرض وحضاراتها، وتعزيز العمق الثقافي الجامع بين مختلف الأعراق والجنسيات والثقافات، وجمعها تحت سقف واحد، هو سقف الثقافة والمعرفة والكلمة التي تجمع ولا تفرّق.

وليست حكايات الشعوب هذه، التي تقدّم للمرة الأولى لقرّاء العربية بمثل هذه الشمولية والكثافة والاتساع، إلا ترسيخاً لهذا المشترك الإنساني الجامع. وكأن ما اصطلحت البشرية على تسميته «عولمة» منذ عقدين من الزمان أو نيّف، كان متحقّقاً بالفعل منذ مئات بل آلاف السنين، عبر حكايات نجدها تتنقّل بحرية من أرض إلى أرض، ومن لسان إلى آخر، إذ تطرأ عليها تعديلات هنا أو هناك، لتناسب ثقافة هذا الشعب أو ذائقة تلك الأمة، أو ظروف تلك الجماعة. وفي بعض الأحيان نجد الحكاية نفسها – مع تغيير في أسماء الناس والأمكنة – تروى في أقاصي الشرق، على نحو ما تروى في أقاصي الغرب، أو

Twitter: @ketab_n

شمال الأرض أو جنوبها. فإذا كانت الحكايات تتمتع بميزة أساسية فهي قدرتها على اختراق الحدود الجغرافية والعرقية والنفسية والسياسية والدينية واللغوية، لتولد في كل مرة، وعند كل قوم من الأقوام، بصورة خاصة وفريدة، تشير إلى خصوصية الذات.

وهكذا، تبقى الحكايات سرّ هذه الأرض الواحدة، نبتتها أو لنقل زهرتها الفريدة، التي نبتت من تربتها الخصبة الواحدة، ونمت تحت سمائها الشاسعة الواحدة، لتجوب آفاق الدنيا، مبدّلة ربما أثوابها وألوانها، ولكن محتفظة دوماً بجوهرها الإنساني الفسيح والعميق.

وإننا إذ نقدّم هذه الحكايات، زهرات الأرض الفريدة هذه، في باقة واحدة ثرية الأجناس والألوان، فإيماناً منا بأننا على اختلاف ثقافاتنا وحضاراتنا، أبناء هذه الأرض الواحدة، وبأن ما ترويه جدّة ما لأحفادها في أصقاع القطب الجنوبي، من حكايات تؤكد قيم الخير والحب والعدالة والسلام، ترويه - وإن بلغة أخرى - جدة أخرى في أصقاع أخرى من الأرض، وهذا ما يجعل الحكايات الشعبية ميراثاً أصلياً للبشرية جمعاء، بقدر ما هي ملك أصلي لكلّ شعب من الشعوب وثقافة من الثقافات.

د. علي بن تميم

مدير مشروع «كلمة» للترجمة

Twitter: @ketab_n

تقديم

يضمّ هذا الكتاب ثماني عشرة حكاية مشوقة في الترجمة العربية موزعة على جزأين جمعت من التراث الشعبي الروماني القديم. وقد اختيرت الحكايات بعناية على يد كبار الكتاب والمبدعين الرومانيين.

ولأن رومانيا بلد أوروبي شرقي، فإن معظم عادات سكانه وقيمهم وتقاليدهم متبعة أيضاً في بلادنا. وعلى سبيل المثال، نجد عند قراءة الحكايات، أن سكان رومانيا القدماء، آمنوا بالقضاء والقدر، واحترم صغيرهم كبيرهم، وكان عندهم يقين من حتمية انتصار الخير على الشر.

كما تقدّم لنا هذه الحكايات صوراً جميلة عن الريف الروماني الجميل، وتحكي لنا كيف عاش أسلاف هذا الشعب، وتصف لنا عادات قيّمة اتبعها سكانه في الزواج والترحال، وإكرام الضيف ومساعدة الفقراء وإغاثة الملهوف ونصرة الضعفاء. ولا يخفى على أحد أن تراثنا العربي حافل بمثل هذه القيم الأخلاقية الرفيعة.

Twitter: @ketab_n

وكما هو حال معظم المجتمعات القديمة، شغف سكان رومانيا بالحكايات التي تدور حول أعمال السحر والجن، وكل ما يتعلق بها من خرافات وأساطير.

ويلاحظ، عند قراءة كتاب «حكايات رومانية» أن معظم الحكايات تأتي على ذكر التنين، هذا الكائن الخرافي الذي عرف بقدراته الهائلة على قهر خصومه. ولكن أبطال الحكايات ينتصرون دوماً على كل متجبر، سواء أجاء من عالم البشر أم الحيوان أم سواهم.

من جانب آخر، يستقى القارئ من القصص دروساً وعبراً مفيدة. على سبيل المثال، توجه حكاية «جاك المدلل» رسالة تنطوي على تحذير إلى كل أب وأم، من خطورة تدليل الأبناء وتفضيل بعضهم على بعض. ومن قصة « تيليرشين» نستقي عبرة لكل رجل يهمل أبناءه من زوجته الأولى، وينساق وراء أهواء الزوجة الجديدة. كما تعطينا هذه القصة صورة صادقة عن حب الأبناء ووفائهم للآباء، وإن جاروا عليهم يوماً ما.

ومن الحكايات الطريفة في هذا الكتاب، حكاية «صوت الموت» وهي تعبر خير تعبير عن أفكار تقبع في أذهان بعض السذج الجشعين، ممن يعتقدون أنهم سيخلدون في هذه الدنيا.

Twitter: @ketab_n

وتقدم لنا حكاية «ايليان الماكرة» صورة أميرة ذكية تتغلب، عن طريق الفطنة والدهاء، على خصوم حاقدين استغلوا سذاجة أختيها الكبيرتين.

وفي نهاية الكتاب، يجد القارئ حكاية «الساحرة أورورا» وهي أطول الحكايات وأكثرها تشويقاً. وقد نسجت من أساطير وخرافات لا تخلو في مضمونها من عبر ودروس مفيدة، وتنتهي نهاية جميلة، كما هو حال جميع الحكايات. كما توجه هذه الحكاية رسالة تنبيه إلى كل طماع وكذاب يتخلى عن مشاعره وقيمه سعياً وراء المال والجاه.

ميسون جحا

Twitter: @ketab_n

أختان غير شقيقتين

عاش في قديم الزمان، أرمل عجوز مع ابنته الجميلة. وذات يوم قرر الأب الزواج من أرملة لها أيضاً ابنة. وكانت ابنة الأرملة دميمة كسولة عنيدة حقودة، على خلاف ابنة العجوز.

ولأن الأرملة فضّلت ابنتها الوحيدة على كل من عداها، ورغبت في تدليلها، فقد أمرت ابنة زوجها بأداء جميع الأعمال المنزلية. ولم تجد ابنة العجوز، وهي جميلة ومطيعة ونشيطة، بدّاً من إطاعة زوجة أبيها. وقد حباها الله بصفات حميدة أكسبتها محبة الناس وجعلتها محط أنظارهم، مما زاد من حقد زوجة أبيها وابنتها.

ولحسن حظ تلك الفتاة، فقد حظيت بقدرة كبيرة على التحمل والصبر، خاصة بعد أن أوكلت لها جميع المهمّات الشاقة. فقد أجبرتها ابنة الأرملة على قطع الحطب والإتيان به من الغابة، وجرّ أكياس الحبوب الثقيلة إلى المطحنة، وحمل الماء من البئر إلى البيت. فلم تكن تنال طوال اليوم قسطاً من الراحة،

Twitter: @ketab_n

بل انشغلت دوماً في صعود السلالم وهبوطها. ورغم ذلك، لم تنل رضا الأرملة ولا ابنتها فظلتا تتصيدان لها الأخطاء.

في المساء، عند توجه الفتاتين إلى القرية لغزل الخيوط، دأبت ابنة العجوز على العمل بلا تؤدة، ولم تكن تسمح لأي شيء بأن يشغلها عن عملها. وفي معظم الأوقات، نجحت في إنتاج عدة بكرات من الخيوط القطنية والصوفية، في حين لم تفلح ابنة المرأة قط في إنتاج أكثر من بكرة وحيدة.

وذات ليلة، وعند عودتهما من القرية، قفزت ابنة الزوجة فوق سياج الحديقة، وطلبت من ابنة الرجل بأن تسلمها بكرات الخيوط كي تقفز بسهولة فوق السياج ذاته، ثم جرت إلى البيت، وقالت لأمها وزوجها إنها غزلت بمفردها تلك الخيوط. ورغم تأكيد الفتاة المسكينة أنها هي التي تعبت وعملت طوال المساء بكد وجهد، فلم يصدقها أحد.

وفي يوم العطلة من كل أسبوع، كانت ابنة زوجة الأب تتزين وتتعطر وتسرح شعرها، وتحرص على حضور جميع حفلات القرية، في حين حُرمت ابنة الرجل من جميع التسالي. ودأبت تلك المرأة الشريرة فور عودة زوجها إلى البيت في المساء، على انتقاد ابنته والادعاء بأنها غير مطيعة ومشاكسة وسيئة المزاج

Twitter: @ketab_n

وكسولة. وكثيراً ما طلبت منه إبعادها عن المنزل، وإرسالها إلى أي مكان آخر، كي لا تفسد طباع ابنتها العاقلة الرزينة.

ولأن العجوز كان مغفلاً، فقد صدّق كل مزاعم زوجته وأطاع رغباتها. ولو أنه استمع لصوت العقل والمنطق، لكان الأولى به أن يتحقق من كل شيء.

ذات يوم، استشاط غضباً بعد سماعه إدعاءات زوجته وابنتها، ونادى ابنته وقال: «يا ابنتي العزيزة، تقول زوجتي إنك مشاكسة سليطة اللسان شريرة، فلم يعد بقاؤك بيننا ممكناً. اذهبي إلى أي مكان يقودك الله إليه، وعندها سيهدأ بيتنا ويخلو من الشجار. لكن، أنصحك كأب محب، بأن تكوني مطيعة ومتواضعة ونشيطة في عملك، لأنني تجاوزت طويلاً أخطاءك هنا لأنني والدك، أما الغرباء فلا يرحمون. والله وحده يعلم من ستلتقين».

وعندما أيقنت الفتاة المسكينة أن زوجة أبيها وابنتها مصممتان على طردها، قبّلت يد أبيها وقد اغرورقت عيناها بالدموع، وخرجت هائمة على وجهها، لا أمل لها في العودة إلى بيتها. وسارت على طريق طويل حتى رأت كلباً هزيلاً خائر القوى.

Twitter: @ketab_n

عندما رآها قال الكلب: «أيتها الحسناء الرائعة، أشفقي على حالي، واهتمي بي، وسوف أرد لك المعروف في أي وقت كان».

أشفقت الفتاة على الحيوان المسكين، وحملته بين ذراعيها، ونظفته وأطعمته. ثم تركته ومضت في طريقها سعيدة بقيامها بعمل خير. ولم تقطع مسافة طويلة حتى وجدت أمامها شجرة كمثرى غنية بالأزهار، لكن الحشرات أحاطت بها. وعندما رأت الشجرة الفتاة الطيبة، قالت لها: «أيتها الفتاة الجميلة، اهتمي بي وخلصيني من هذه الحشرات، وسأكافئك في يوم ما»

سارعت الفتاة، كعادتها في خدمة الناس والعمل على إسعادهم، إلى العمل على تخليص شجرة الكمثرى من أغصانها اليابسة وإبعاد الحشرات عنها، ثم مضت في طريقها للبحث عن مأوى وعمل ما.

على الطريق وجدت نبعاً قديماً، مهجوراً ومهمَلاً، قال لها: «اهتمي بي، أيتها الفتاة الطيبة البارعة، وفي يوم ما ستصلك مكافأتي».

وهكذا عملت الفتاة على تنظيف النبع وإعادته إلى ما كان عليه. وفي طريقها اقتربت من فرن مهدم لم يعد صالحاً لأي شيء.

Twitter: @ketab_n

ما إن رآها الفرن، حتى قال: «أرجو منك تنظيفي وإعادة بناء أحجاري، وسأرد لك معروفك في يوم قريب». أدركت الفتاة أن العمل والنشاط لا يضرّان أحداً، لذا شمّرت عن ساعديها، وسدّت بالطين الثقوب في جدار الفرن. ثم طلت جدرانه بالزيت ونظفتها حتى عاد الفرن إلى سابق حاله. وبعد أن أنهت عملها، غسلت يديها، وتابعت طريقها.

مشت أياماً وليال حتى ضلت طريقها، لكنها لم تفقد ثقتها في الله. وتابعت السير، وبعد عبورها غابة كثيفة، وصلت ذات صباح باكر إلى سهل واسع. هناك وجدت بيتاً تظلله كرمة عنب. وعند اقترابها منه، خرجت عجوز للترحيب بها وإكرامها. وقالت لها: «من أنت، يا صغيرتي؟ وما الذي تبحثين عنه؟».

«أتسألين من أكون، أيتها السيدة الطيبة؟. أنا فتاة فقيرة يتيمة الأم، ويمكنني القول إني يتيمة الأب أيضاً، لأن الله وحده يعلم ما عانيته منذ وفاة أمي. أبحث عن عمل يكفيني ذلّ السؤال والتشرد، ولأني لا أعرف أحداً، وتنقلت من مكان إلى آخر، فقد ضللت طريقي. وقد هداني الله إلى بيتك. أتوسل إليك كي تؤويني».

Twitter: @ketab_n

أجابت العجوز: «أيتها الطفلة المسكينة، قادك الله إليّ وأنقذ حياتك. أنا إلهة يوم الأحد. اخدميني اليوم، وأعدك بألا تخرجي من بيتي خالية الوفاض».

«حسناً، لكن لا أدري ما المطلوب مني تنفيذه؟».

«يجب عليك تغسيل أطفالي، وإطعامهم عند استيقاظهم، ثم إعداد طعام الغداء لي. وعند عودتي من الكنيسة، أريد ألا يكون طعامي حاراً ولا بارداً، بل في درجة حرارة مقبولة».

بعد إنهاء حديثها، انطلقت العجوز إلى الكنيسة. وشمرت الفتاة عن ساعديها، وباشرت العمل. فجهزت ماء الاستحمام، ثم خرجت من البيت ونادت: «هيا يا أطفال، تعالوا كي تستحموا».

ترى ماذا رأت أمامها؟ امتلأ فناء البيت بمجموعة من التنانين، وجميع أنواع الوحوش البرية من شتى الأحجام والأشكال. لكن إيمانها الشديد بالله، لم يدع للخوف مكاناً في قلب الفتاة، فسارعت إلى تنظيف الحيوانات واحداً بعد الآخر. ثم بدأت في إعداد الطعام، وعند عودة إلهة يوم الأحد من الكنيسة ورؤيتها لأطفالها في هيئة جميلة ونظيفة، وكل شيء مرتب وموضوع في مكانه، سرّت كثيراً. وبعد جلوسها إلى المائدة، طلبت من الفتاة

Twitter: @ketab_n

الصعود إلى العلية، واختيار أي صندوق تشاء كأجر لها، كي تعود به إلى بيتها.

لكن العجوز اشترطت على الفتاة ألا تفتح الصندوق إلا بعد وصولها إلى بيت أبيها.

صعدت الفتاة إلى العلية، فوجدت هناك عدداً من الصناديق، بعضها قديم وصدئ، وبعضها الآخر جميل لامع. ولكن نظراً لأنها فتاة قنوعة طيبة القلب، فقد اختارت أقدم تلك الصناديق وأسوأها شكلاً. وعند هبوطها حاملة الصندوق، قطّبت إلهة يوم الأحد حاجبيها قليلاً، لكنها لم تستطع فعل أي شيء، وباركت لها في أجرها، وتمنت لها التوفيق والسعادة. وحملت الفتاة الصندوق على ظهرها، وعادت بفرح غامر إلى بيت أبيها.

في طريق العودة، دهشت الفتاة عند رؤيتها الفرن مليئاً بقطع من الكعك بالزبيب. فأكلت حتى شبعت، ثم حملت معها مؤونة الرحلة. وسرعان ما وصلت إلى النبع الذي نظفته، فوجدته مليئاً بماء نقي بارد كالثلج، وإلى جانبه كوبين من الفضة الخالصة. شربت من النبع حتى ارتوت واستعادت نشاطها. وتابعت طريقها، لكن ماذا رأت يا ترى؟ وجدت شجرة الكمثرى التي خلصتها من الحشرات وقد امتلأت بثمار صفراء كلون الشموع، وناضجة وحلوة كالعسل.

Twitter: @ketab_n

وعندما رأت الشجرة الفتاة، أحنت أغصانها إليها، فتناولت عدداً من ثمار الكمثرى، وحملت المزيد منها لتأكلها على الطريق. وتابعت طريقها حتى التقت الكلب الصغير الذي تعافى وأصبح في حالة جيدة، وحمل حول عنقه طوقاً من العملات الذهبية قدمه إلى الفتاة الطيبة مكافأة لها على رعايتها له.

ثم واصلت الفتاة رحلتها حتى وصلت إلى بيت أبيها، الذي ما إن رآها حتى اغرورقت عيناه بالدموع، وخفق قلبه من شدة الفرح. أخرجت الفتاة عقد العملات الذهبية وكوبي الفضة وقدمتها إلى أبيها.

وعندما فتحت الصندوق بمساعدة أبيها، خرجت أعداد لا تحصى من الجياد وقطعان الماشية والدواجن. ومن شدة فرحه برؤية الكنز الذي هبط عليه فجأة، استعاد العجوز شبابه وحيويته. فذهلت زوجته، ولم تدر حقيقة ما جرى، إلا أن ابنتها استجمعت شجاعتها وقالت: «لا بأس، يا أمي، لم يفرغ العالم بعد من الخيرات والأموال. سوف أخرج بحثاً عن كنوز أكبر وأعظم مما جلبته هذه الفتاة الماكرة».

انطلقت ابنة زوجة الأب، وسارت على الطريق نفسه الذي اتبعته أختها غير الشقيقة. فالتقت الكلب المريض، ومرت

Twitter: @ketab_n

بشجرة الكمثرى المغطاة بالحشرات، وبالنبع الجاف المهجور، وبالفرن المهدم. لكن عندما طلب الكلب والشجرة والنبع والفرن مساعدتها، أجابتهم بوقاحة واستهزاء: «هل تظنون أني سألوث يدي الناعمتين بكم؟ وهل سبق أن اهتم بكم أمثالي من الناس؟».

بعد ذلك تجاهلها الجميع لعلمهم أن استخلاص الحليب من ضرع بقرة عجفاء، أسهل من تقويم فتاة وقحة كسولة أفسدتها كثرة الدلال. وإذ مضت في طريقها، وصلت أخيراً إلى بيت إلهة يوم الأحد. وقد تصرفت أيضاً بحماقة وطيش. فعوضاً عن إعداد الطعام وطهيه على مهل وحذر، وتنظيف صغار العجوز كما فعلت أختها الطيبة، استخدمت ماءً مغلياً حتى بكى الصغار من شدة الألم، وفروا بعيداً. كما أنها أحرقت الطعام حتى تحول إلى فحم، فلم يقبل عليه أحد. وعند عودة العجوز من الكنيسة، غطت بيديها عينيها وأذنيها، كي لا ترى ولا تسمع بما جرى في غيابها.

لم تستطع إلهة يوم الأحد الطيبة تحمل كسل تلك الفتاة وإهمالها، فطلبت منها الصعود إلى العلية واختيار أي صندوق يطيب لها حمله، كي تعود إلى بيتها.

Twitter: @ketab_n

صعدت الفتاة واختارت أجمل وأحدث صندوق. لأنها لطالما أرادت الحصول على أفضل الأشياء وأجملها، دون أن تبذل في مقابل ذلك، أي جهد. وعند نزولها من العلية، لم تودع العجوز ولم تطلب دعاءها ولا بركاتها، بل انطلقت بسرعة كأنها تريد مغادرة مكان غير مأمون. وقد أوشكت على السقوط أكثر من مرة، بسبب خوفها من احتمال رجوع العجوز عن قرارها، واللحاق بها لاسترداد صندوقها.

وعند وصولها إلى الفرن، وجدت قطعاً من الكعك المحلى، لكن عند اقترابها من الحلوى كي تسد جوعها، أحرقتها نار الفرن، وفشلت في لمس أي قطعة. ومن جديد، وُضع كوبان من الفضة بجانب النبع الذي امتلأ بالماء. لكن عند لمس الفتاة الشريرة أحد الكوبين اختفى فجأة، وجفّ النبع، وكادت أن تموت من العطش. وعند وصولها إلى شجرة الكمثرى، وجدتها محملة بالثمار، ولكن هل تظنون أن المسافرة تمكنت من تذوق أي ثمرة؟ فقد طالت شجرة الكمثرى آلاف المرات حتى طاولت أغصانها السماء. وهكذا عضّت الفتاة الشريرة على أسنانها ولم تحصد شيئاً.

Twitter: @ketab_n

ثم تابعت طريقها، والتقت الكلب الذي حمل طوقاً من العملات الذهبية، لكن عندما حاولت أخذ الطوق، عضّها الكلب ومزق أصابعها ولم يسمح لها بلمسه. وشعرت الفتاة بغضب شديد.

في نهاية الأمر، وصلت إلى بيت أمها بعد مشقة بالغة. لكن حتى في ذلك المكان، لم تجد الأمان ولا المال. إذ ما إن فتحت أمها الصندوق، حتى خرجت منه مجموعة من الوحوش سارعت لابتلاعها مع ابنتها. وعلى الفور، اختفت تلك الوحوش الضارية.

حينذاك، استطاع العجوز العيش في سلام وهدوء مع ابنته، وأصبحت لديه ثروة لا تعد ولا تحصى. وتزوجت ابنته من رجل ثريّ قدير. وباتت الديوك تصيح في حبور بالقرب من بيت العجوز، ولم تعد الدجاجات تجري هنا وهناك من شدة الذعر. لكن العجوز المسكين احدودب ظهره، وفقد صحته نتيجة كثرة الشجار مع زوجته الشريرة التي حرصت على تنغيص حياته.

Twitter: @ketab_n

الفتى الفقير

عاشت في قديم الزمان، أرملة فقيرة خلا بيتها من الطعام والشراب. وكان لها طفلان، ولد وبنت. وقد اتسم الولد بجرأة نادرة. واتصفت الطفلة بجمال أخاذ حتى إن جميع الأمراء كانوا ينتظرون بلهفة أن تكبر كي يتزوج أحدهم منه. لكن عندما بلغت الفتاة السادسة عشرة من العمر، أصابها ما أصاب جميع الفتيات الجميلات. جاء تنين وخطفها، وحملها بعيداً إلى بلد يقع في النصف الآخر من العالم.

منذ ذلك اليوم، تعلقت الأرملة بابنها الوحيد تعلقاً شديداً، لأنه أصبح مؤنسها ومصدر بهجتها في هذا العالم. فأولته كل الرعاية والاهتمام بوصفه قرة عينها، ولم تدعه يغيب عن ناظريها. لكن بقدر حبها لابنها، كانت الأرملة حزينة، لا تجد للسرور مكاناً في قلبها، بسبب ضياع ابنتها الوحيدة.

Twitter: @ketab_n

ولدى معايشته لحزن أمه، عمل الصبي على اكتساب قوة جسدية فائقة. وأخذ يحصي الأيام والليالي كي يصبح جاهزاً للخروج بحثاً عن أخته، ولو تطلب منه الأمر السير على طرق مليئة بالأشواك والمشقات.

وعند بلوغه الثامنة عشرة، صنع لنفسه صندلاً من جلد العجل ووضع له نعالاً من الفولاذ، ومضى إلى أمه وقال: «أمي الحبيبة. لا أجد في هذا المكان راحة ولا سلاماً، طالما أراك حزينة، مهمومة ودائمة التفكير بأختي. ولذا قررت الخروج في رحلة بحثاً عنها، ولن أعود قبل أن آتيك بأخبار مؤكدة. لا أدري إن كنت سأوفق في العثور عليها، لكنني آمل تحقيق هذه الأمنية. وأرجو أن لا تنسيني من دعائك».

اضطرت الأرملة إلى كبت مشاعرها أمام ولدها وقالت: «حسناً، يا ولدي الغالي، ابذل قصارى جهدك. وعند عودتك سنلتقي من جديد، وإن لم تعد سريعاً فلن أبكي، لأن رحلتك ستكون طويلة شاقة، وسأتحلى دوماً بالأمل في عودتك».

Twitter: @ketab_n

بعد أن قالت تلك الكلمات، خبزت ثلاثة أرغفة من الخبز بعد أن مزجت الدقيق بحليبها. صنعت الرغيف الأول من دقيق القمح، والثاني من النخالة، والثالث من رماد الموقد. وضع الفتى الأرغفة الثلاثة داخل حقيبة سفره، وودع أمه، وخرج كمسافر فقير لا يدري في أي وجهة يسير.

عند أطراف المدينة، وقف ورنا ببصره بعيداً ناحية الغرب والشرق، ثم نظر نحو الجنوب وإلى الشمال. ثم قبض على حفنة من التراب ونثرها في الهواء، وسار على الدرب الذي تناثرت فوقه حبات التراب.

سار لمسافات طويلة، وعبر أراضي بلاد غنية، حتى وصل إلى مستنقع لم تنبت فيه الحشائش، ولا جرى فيه ماء. وقف هناك وأخرج أرغفته الثلاثة. وبدأ في تناول الرغيف المصنوع من دقيق القمح، لأنه ألذ الأرغفة وأجملها شكلاً. وبعد أن تناول قطعة منه ازداد قوة وارتوى عطشه. فتابع رحلته، وعبر المستنقع الواسع في يوم صيفي قائظ، إلى أن حلّ الليل، حيث وصل إلى غابة مترامية الأطراف. لكنها كانت كثيفة مظلمة ومهجورة من أي كائن كان. كما أنها خلت من أي أثر للرياح.

وعندما سار وسط الغابة، رأى إلى جوار جذع شجرة عجوزاً

Twitter: @ketab_n

محدودبة الظهر متجعدة الوجه. فسرّ بلقائها، خاصة بعد أن عاش أياماً طويلة وأشهر مضنية، لم يرَ فيها وجه آدمي ولا سمع صوتاً بشرياً.

قال: «طاب يومك، يا أماه، كيف وصلت إلى هذا المكان؟ وماذا تفعلين وسط هذه الغابة الواسعة؟».

تنهدت العجوز وأجابت: «كلماتك طيبة. لقد اضطرني كبر السن للقدوم إلى هذا المكان. فقد عجزت عن مواصلة رحلتي لأن قدميّ ما عادتا تقويان على المشي».

وعندما سمع الفتى الفقير ما قالته، أشفق على حالها، فاقترب منها وسألها متى جاءت، وإلى أي مكان أرادت الوصول، وما الهدف من رحلتها السابقة، لم يدر ذلك الفتى السيئ الطالع أن تلك العجوز لم تكن سوى ساحرة الغابة، والتي تكمن عادة، عند أطراف الغابات، وتستخدم كلمات معسولة لاصطياد من ضلوا الطريق. وعندما رآها الفتى على تلك الحالة من الضعف والهزال، تذكر أرغفته الثلاثة، وتصرف كأنه عائد إلى بيته في ذات اليوم، ورغب بإشراكها في طعامه علّها تستمد شيئاً من القوة.

لكن ساحرة الغابة أضمرت خططاً مغايرة، ولذا أجابت: «أشكرك. كما ترى، لا أسنان عندي لقضم الخبز. إن أردت مساعدتي، فاحملني على ظهرك إلى بيتي القريب».

Twitter: @ketab_n

قال الفتى الذي دفعته طيبة لمساعدتها: «أرجو أن تأكلي شيئاً، فالجوع هو سبب تعبك وعدم قدرتك على الحركة. وإن لم ينفعك خبزي، فسأحملك كما تشائين».

عندما رأت الساحرة رغيف الخبز المصنوع من دقيق القمح، نظرت إليه بشهية. وعندما أخذت من الرغيف لقمة ومضغتها، رقّ قلبها وصارت أكثر حناناً. وبعد تناولها ثلاث لقيمات، شعرت كأنها كائن بشري، بقلب صافٍ ومزاج هادئ.

قالت له: «اعلم يا بني بأني ساحرة الغابة، وأعرف من أنت، ومتى أتيت، وإلى أي مكان تريد الوصول. إن رحلتك شاقة، يا بني، لأن أختك موجودة في الجانب الآخر من العالم الذي لا يستطيع سكان الأرض بلوغه إلا بطريقة معينة».

سأل الفتى الفقير بلهفة: «وما هي تلك الطريقة؟». نظرت إليه ساحرة الغابة بريبة، وقالت: «لا أنصحك بإكمال رحلتك لأنك قد تلاقي حتفك. لكن من يدري، ربما يحالفك الحظ، وأرى أنك طيب القلب، ولن يهدأ لك بال حتى تجد أختك. لذا اعلم أنه في مكان بعيد من هنا، وبعد أن تقطع ستة مستنقعات وست غابات، ستقابل عند أطراف الغابة السابعة والتي تمتد حتى حدود الطرف الآخر من العالم، ساحرة عجوزاً تقود قطيعاً من

Twitter: @ketab_n

الجياد، من بينها جواد مسحور سوف ينقلك إلى الشاطئ الآخر. لكن ذلك الجواد لا يحصل عليه إلا من يعرف كيف ينتقيه من بين بقية الجياد، وذلك بعد أن يمضي في خدمة الساحرة مدة عام كامل».

كان ذلك ما أراد الفتى معرفته، ولم يضيّع وقتاً. بعد أن شكر ساحرة الغابة على المعلومات المفيدة التي زودته بها. انطلق بأقصى سرعة عبر الغابة الكثيفة لأن طريقه كان طويلاً شاقاً. تحرك بهمة ونشاط، وجرى تحدوه الرغبة بإنجاز المهمة والعودة سريعاً إلى بيته. قطع مسافات طويلة لا يعلم مداها إلا من عبر مستنقعاً وغابة. وقد وهنت قوته فأخذ قطعة من رغيفه، فانتعش على الفور.

مرّ بعد خروجه من الغابة السادسة بغدير تترقرق مياهه بكل صفاء، ورأى دبوراً يكاد أن يغرق، فأشفق لحاله.

لذا أمسك بغصن جاف، ومدّ طرفه إلى الدبور كي يزحف فوقه وينجو بحياته. لكن تصادف أن كان ذلك الدبور هو ملك الدبابير في الغابات، وعندما أنقذه الفتى، طار فوق رأسه وكتفيه وقال: «سيكون الحظ حليفك أينما ذهبت. أرجو أن تسحب شعرة من تحت جناحي الأيمن. احرص على هذه الشعرة وحافظ

Twitter: @ketab_n

عليها، لأنها ستخدمك ذات يوم. فإن احتجت إلى مساعدتي، هزّ الشعرة وسآتي إليك في أي مكان تكون فيه».

نزع الفتى الفقير الشعرة، واحتفظ بها، ثم مضى في طريقه. سار أياماً طويلةً حتى وصل إلى بحيرة واسعة، وجد على شاطئها سمكة تكاد تموت. فأشفق عليها وحملها ورمى بها في الماء. لكن تلك السمكة كانت ملكة الأسماك. وكان لها قشور مغطاة بالمجوهرات وزعانف ذهبية. سبحت حول البحيرة، وتنفست مرتين أو ثلاثاً كي تسترد قوتها، ثم عادت إلى الفتى وقالت: «سيكون الحظ حليفك أينما ذهبت وحيثما حللت. انزع قشرة من تحت زعنفتي اليمنى، واحتفظ بها جيداً، فمن يدري متى تكون في خدمتك؟ وإن احتجت يوماً إليّ، فاضغط على القشرة، وسوف أحضر إليك أينما كنت، وحيثما حللت في هذه الأرض الواسعة».

أخذ الفتى الفقير القشرة، وخبأها وتابع رحلته. سار لمسافات وأيام طويلة حتى وصل إلى المستنقع السابع، حيث لا حشائش تنمو ولا ماء يجري.

Twitter: @ketab_n

هناك وجد في طريقه خلداً أعمى بصره نور الشمس، وأخذ يتلمس طريقه باحثاً عن جحره القريب، حيث يتضور صغاره جوعاً. أشفق الفتى على حال الخلد وحمله كي يدخله إلى جحره.

قال له الخلد: «أينما ذهبت، سيكون الحظ حليفك. أرجو أن تأخذ مخلباً من كفي الأيمن. احتفظ بالمخلب عسى أن يفيدك يوماً ما. وإن احتجت إليّ، فما عليك سوى نبش الأرض بواسطة هذا المخلب، وسآتي إليك أينما كنت في هذا العالم».

أخذ الفتى الفقير المخلب واحتفظ به، وسار من جديد وعبر أراضي المستنقع اللامتناهي الأطراف في طريقه نحو الغابة البعيدة التي تقع على تخوم الطرف الآخر من العالم.

وحده الرب يعلم كم يوماً وليلة أمضاها في رحلته عبر ذلك المستنقع. لكن ذات صباح، رأى عند استيقاظه، خيطاً من النور يلوح له من بعيد، وكان ذلك الخيط شبيهاً بنار يوقدها عادة الرعاة عند بوابة حظيرة. هناك كان موقع الساحرة التي سحرت الحصان.

Twitter: @ketab_n

سرّ الفتى سروراً كبيراً عندما وجد نفسه قريباً من أبعد نقطة في الوجود، وكبرت فرحته حين وصل في مساء اليوم الثالث إلى بيت الساحرة. وفي تلك المنطقة، وجد مستنقعاً يقع عند أطراف غابة تمتد إلى ما وراء الأفق، وقد اتصل بالغابة سهل فسيح مغطى بالحشائش الخضراء. وقد جرت في السهل جداول من ماء صاف رقراق، وارتفعت أعمدة عالية حملت كل منها جمجمة بشرية. بين تلك السواري، بُني كوخ الساحرة، ونمت على جانبيه شجرتا صفصاف.

وقد ثبت للفتى صدق كلام ساحرة الغابة، حيث اتسمت الحياة في المكان بالصفاء والهدوء. واستجمع الفتى شجاعته واقترب من الكوخ الذي بدا مهجوراً وسط المستنقع. عند مدخل الكوخ، جلست الساحرة العجوز فوق كرسي ثلاثي الأرجل، وأمامها ارتفع مرجل هائل الحجم وضع أيضاً فوق حامل ثلاثي الأرجل. واشتعلت النار دون دخان. وقد أمسكت الساحرة بعظمة ساق أخذت من عملاق، وأخذت تحرك بواسطتها الأعشاب التي كانت تغلي في المرجل. وعندما حياها الفتى الفقير بتحية المساء، نظرت إليه شذراً.

Twitter: @ketab_n

لكن ما لبثت أن قالت له: «أهلاً بك، أيها البطل. انتظرتك منذ وقت طويل. فقد اهتز هذا المرجل كثيراً، وأعلمني بقرب وصولك».

سرّ الفتى بذلك الاستقبال الرقيق، حيث لم تظهر على الساحرة أي إشارة تنم عن عنادها وحبها للمشاكسة. فقد خاطبته بلطف وبصوت ناعم. ومن جانبها، شعرت الساحرة بالسعادة لأنها التقت شاباً وسيماً بعد طول غياب البشر عنها. فقد ساعدت الأعمدة التي تحمل جماجم بشرية على حمايتها من الأقزام الأشرار الذين ما كانوا قادرين على المرور بين تلك الأعمدة.

واتفق الفتى مع الساحرة على أن يرعى لها قطيعاً من الجياد لمدة عام كامل، يتلقى في نهايته أجراً مجزياً. وعدت الساحرة بمنحه جواداً يختاره بنفسه. لكن إن ضيّع القطيع، فسيكون عليه تقديم رأسه إلى الساحرة.

وعلى الفور، نصبت العجوز عموداً في الأرض، وعلقت قبعة الفتى في قمته. ثم أكل الفتى شيئاً كي يسد رمقه قبل أن يأخذ القطيع إلى المرعى. وأثناء تناوله الطعام، قادت الساحرة إناث الخيل إلى موضع يقع خلف الكوخ، وأخذت في ضربها بواسطة عظمة ساق عملاق، وأمرتها بألا تشرب الماء في الليل،

Twitter: @ketab_n

وأن تمنع الآخرين من الشرب، لأن مياه الينابيع في السهل ستنيم القطيع. وقد خططت الساحرة لإجبار الفتى على رعي القطيع طوال الليل. ولم يعلم الفتى بأمر تلك الخطة.

وعندما وصل إلى المرعى مع القطيع، اشتد عطشه خاصة أنه سار منذ الصباح وحتى آخر الليل بحثاً عن قطرة ماء. ولذا انحنى بجانب ينبوع وشرب، فنام على الفور.

وعند فجر صباح اليوم التالي، استيقظ الفتى فلم يجد قطيع الجياد، ولم يعثر لها على أثر. وبحث طويلاً حتى دبّ فيه اليأس والقنوط. ثم تذكر الخدمة التي قدمها ذات يوم إلى الدبور. وظنّ أن حشرات سريعة كالدبابير قد تعثر على القطيع، وتأتي له بأنباء طيبة عن مكان تواجده.

ولذا أخرج الشعرة التي سحبها من تحت الجناح الأيمن للدبور، وهزّها. وفي سرعة البرق ، صدر ضجيج من كل مكان، وارتفع صوت الضجيج حتى ظنّ الفتى بأن العالم بأسره سيدمر.

في البداية، حام دبور إثر دبور، ثم حامت مجموعة من الدبابير إثر مجموعة، إلى أن وصلت أسراب كبيرة من جميع الأحجام، وكانت جميعاً على استعداد للطواف حول الأرض لتنفيذ أوامر الفتى.

Twitter: @ketab_n

قال ملك الدبابير: «لا تقلق، إن كان القطيع ما زال على سطح الأرض، فسنعيد إليك الجياد قبل شروق الشمس».

بعدئذ حلّ الهدوء لأن الدبابير طارت إلى كل مكان وتوزعت حول أرجاء الأرض. ولم يمض وقت طويل، حتى رأى من بعيد عاصفة من الغبار غطت كامل السهل، واندفعت الجياد بسرعة جرّاء لسع الدبابير لها، واهتزت الأرض تحت حوافرها. شكر الفتى الدبابير على مساعدتها القيمة، وقاد القطيع نحو الكوخ وكأن شيئاً لم يكن.

نظرت إليه العجوز شذراً، لكنها أثنت على عمله. ثم كررت ضرب إناث الخيل آمرة إياها بالتواري عن الأنظار طوال الليل. وفي المساء، لم يأكل الفتى شيئاً، لأنه ظنّ أن طعام الساحرة جعله يعطش في الليلة السابقة. لكن عندما قاد القطيع إلى المرعى، شعر بحرقة شديدة في حلقه دفعته، فور رؤيته لماء النبع، لإرواء ظمئه. لكن ما إن شرب حتى غطّ في نوم عميق. وفي تلك الليلة، نام لساعات طويلة. ونتيجة لذلك تأخر في هز الشعرة التي نزعها من تحت الجناح الأيمن للدبور. وتبعاً لذلك، تأخر وصول أسراب الدبابير كي تعيد الجياد إلى حظيرتها.

Twitter: @ketab_n

لكن تُرى، ما الذي جرى؟ سرعان ما وصل سرب إثر سرب من الدبابير كي يخبروه بأن الجياد غير موجودة على سطح الأرض، ولابد من أنها مختبئة في مكان ما تحت البحر.

وإذ اقترب موعد شروق الشمس، أخرج الفتى قشرة السمكة وحركها، فسرعان ما ظهرت في مياه الينابيع، بالقرب منه، مجموعة كبيرة من الأسماك الصغيرة، ملأت جميع القنوات، وانتظرت أوامره. وقد حدثها بما يريده، وعلى الفور أخذت جميع أشكال المياه على الأرض، من أنهار وبحيرات وبحار، في الارتفاع والانخفاض. وفي الوقت نفسه، حامت فوق المياه أسراب الدبابير كي تكون على أهبة الاستعداد للسع الجياد فور ظهورها من أعماق المياه. وقد تحققت أمنية الفتى، فظهرت الجياد ووقفت إلى جانبه.

عند شروق الشمس، سارع الفتى لجمع جياده والعودة بها إلى بيت الساحرة.

نظرت إليه الساحرة العجوز بغضب، لكنها كررت مديحها واستحسانها لعمله. وللمرة الثانية، لم تنج إناث الخيل من غضب الساحرة وحنقها، وتعرضت لضرب مبرح. ولأن السنة، في عالم الساحرات، تتألف من ثلاثة أيام، فإن الفتى سينهي خدمته في تلك الليلة، وسينال أجره إن لم تتوار الجياد عن الأنظار.

Twitter: @ketab_n

وإذ أدرك الفتى حقيقة الأمر، أخذ في تناول ما تبقى من رغيفه وهو في طريقه مع القطيع إلى المرعى. وكلما قضم لقمة ازداد قوة ونشاطاً، وارتوى عطشه. لكن ما إن اقترب من الينابيع، ورأى الماء الرقراق حتى اشتد عطشه مجدداً، وهكذا التهم باقي الرغيف المصنوع من القمح، واحتاج لتناول رغيف النخالة. لكن الفتى لم يجرؤ على أكله لأن رحلته ما زالت طويلة، وخشي من الافتقار إلى الطعام. ونتيجة لذلك، اعتمد مرة ثانية على مساعدة الدبابير والأسماك، وانحنى على النبع وشرب منه إلى أن غطّ في النوم.

استيقظ قبل شروق الشمس وهزّ الشعرة، وحينما نقلت له الدبابير أنباءً عن اختفاء الجياد عن سطح الأرض، أخرج قشرة السمكة وحكها. لكن، عندما حضرت الأسماك أخبرته أن الخيول ليست موجودة أيضاً تحت سطح الماء. ومن شدة يأسه، أمسك بمخلب الخلد، وحفر بواسطته في الأرض.

لم تمض لحظات حتى غطت الدبابير الأجواء، وأخذت الأسماك في البحث في مياه الأرض. وبدأ الخلد ورفاقه في نبش الأرض، وتقليب ترابها رأساً على عقب. وعندما لامست أشعة الشمس أعالي أشجار الحور عند الكوخ.

Twitter: @ketab_n

اندفعت الجياد نحو الفتى الفقير، بعد أن منعتها الأسماك من اللجوء إلى المياه، ومنعها الخلد من الاختباء في باطن الأرض.

وهكذا أُجبرت الخيول على الانقياد لمشيئة الدبابير التي دفعتها أمامها وجلبتها إلى الفتى.

شكر الفتى أصدقاءه على مساعداتهم القيّمة، وقاد القطيع نحو الكوخ. وقد رمقته العجوز بنظرات غاضبة، لكنها لم تقل شيئاً.

لكن، متاعب أخرى كانت في انتظار الفتى المسكين. فقد انتهى العام، وأرهق نفسه في كيفية الاستدلال على الجواد المناسب. وبدأ عمله كيفما اتفق.

أدرك الفتى أنه في حال فشله في اختيار الجواد المقصود، فإن رحلة عودة طويلة على ظهر أي جواد، أفضل من السير على الأقدام. فضلاً عن ذلك، رأى بنفسه سرعة عدو الجياد، وأن أياً منها سيكون عظيم الفائدة. وهكذا أخذ في تفحص القطيع، وأثناء سيره بينها، لفتت نظره مهرة مريضة، أشفق عليها، لكن لم يفكر في اختيارها. وفيما بعد، لاحظ الفتى أنه كلما استدار

Twitter: @ketab_n

ومشى، وجد نفسه إلى جانب تلك المهرة. ولكونه طيب القلب حدّث نفسه بأنه، وإن كانت تلك المهرة غير مفيدة، فإن اختيارها لابد من أن ينفعها، وربما يشفيها من مرضها.

قال لنفسه: «إن مشطت شعر المهرة ونظفت جلدها، ربما تتحول إلى فرس سريعة».

لذا اختار المهرة. وقرر أن يحمل معه كيساً يحوي مشطاً وفرشاة بهدف العناية بالمهرة وتمريضها.

استبد الحقد في قلب الساحرة العجوز، عندما علمت باختيار الفتى للمهرة المقصودة. لكن لم يكن بيدها تغيير أي شيء، وأُجبرت على الوفاء بوعدها رغم نصحها له باختيار جواد آخر، لأنه سرعان ما سيفقد المهرة ويمضي رحلته وحيداً. كما أكدت له أن حسن خدمته وإخلاصه في العمل جديران بأن ينال عليهما أجراً مجزياً. وفي نهاية الأمر، لم تجد بداً من الاستسلام لإرادته.

ورغم ذلك، لم تتوقف الساحرة الشريرة عن حبك المكائد والخطط الشيطانية. فما إن امتطى المهرة وودع الساحرة، وابتعد عن الأنظار، حتى اتجهت إلى المرجل الكبير، وأنزلته

Twitter: @ketab_n

من فوق الحامل الثلاثي الأرجل وصعدت مكانه، حيث غيرت صورة وجهها وجسدها. وأسرعت خلف الفتى من أجل قتله لاستعادة مهرتها.

شعر الفتى بأن شيئاً مرعباً يتعقبه، وأخذ في نهز المهرة لتسرع في عدوها.

قالت المهرة: «لا فائدة من حثي على الجري بسرعة، لن نتمكن من هزيمتها طالما أننا ما زلنا فوق أراضيها. لكن ارمِ المشط خلفك فيتحول إلى عثرة في طريقها».

عندئذ أدرك الفتى الفقير أنه أحسن الاختيار عندما أخذ المهرة المريضة. لذا أخرج المشط من الحقيبة ورمى به خلفه، فتحول فجأة إلى سور عالٍ طويل، فشلت الساحرة في تسلقه. وهكذا أُجبرت على الدوران حول السور لكي تواصل طريقها. ولدى سماعها وطء أرجل الحامل الثلاثي، قالت المهرة: «ارمِ الفرشاة».

رمى الفتى بالفرشاة التي تحولت فجأة إلى دغل من عيدان القصب، لم تتمكن العجوز من اختراقه، إلا بصعوبة شديدة.

للمرة الثالثة، صاحت المهرة: «ارمِ مشط دباغة الجلود».

Twitter: @ketab_n

وعندما رمى مشط الدباغة، نظر الفتى خلفه، فرأى غابة كاملة من السكاكين والسيوف، والساحرة تحاول شق طريقها بينهم، إلا أنها تمزقت إرباً وتحولت إلى قطع متناهية الصغر.

وعند وصولهما إلى الغابة السابعة، حيث تنتهي مملكة الساحرة، نفضت المهرة المريضة جسدها، فتحولت إلى جواد مجنح جميل، لا نظير له في الوجود.

قال الجواد: «الآن تمّسك بي جيداً. سأحملك، كما لم يُحمل قط بطل، وسأنقلك إلى الجزء الآخر من العالم، حيث توجد أختي التي فقدتها أيضاً».

دهش الفتى من قدرة الجواد الهائلة على الطيران فوق الغابة، إلى أن حطّ في العالم الآخر، والذي وُجد في سهل واسع وسط غابات كثيفة.

وعندما أفاق الفتى من ذهوله، هز الجواد جسده مرة ثانية، فتحول على الفور إلى أمير وسيم ذي شعر أشقر طويل.

قال الأمير للفتى: «أتمنى لك التوفيق والحظ السعيد أينما اتجهت، لأنك أنقذتني من سحر أصابتني به ساحرة الغابة، ويجب أن أعرفك بنفسي. أنا ابن الإمبراطور الأحمر، وقد

Twitter: @ketab_n

خرجت من القصر باحثاً عن شقيقتي، لكن عند أطراف الغابة التقيت ساحرة الغابات، التي ادعت أنها غير قادرة على السير، وتوسلت إليّ كي أحملها على ظهري. وحينما أشفقت لحالها، ورفعتها فوق كتفي، حولتني إلى مهرة مريضة، وحكمت عليّ بالبقاء على تلك الصورة، إلى أن يأتي بطل يرثي لحالي، ويركب على ظهري كي أنقله إلى الجزء الآخر من العالم. وعند ذلك أتحول ثانية إلى كائن بشري».

سرّ الفتى كثيراً لأنه لم يعد وحيداً. وأخذ رغيف النخالة، وقسمه إلى نصفين، أعطى أحدهما إلى الأمير، على أمل أن تسود بينهما مشاعر الأخوة مدى الحياة.

تذوق الأمير الخبز، وكلما تناول منه لقمة ازداد قوةً وتضاعف حبه للفتى. وقد حدّث كل منهما الآخر عن تجاربه ومهاراته، ثم تابعا طريقهما.

من بعيد، عند نهاية الخط الساحلي، لاحت مباني لامعة، تبيّن أنها قصور التنين وأسرته.

وقد اتسم ذلك المكان بجمال الطبيعة وسحرها، والتي لا يمل منها قلب امرئ مهما نظر إليها. فقد شعّ كل شيء بالنور،

Twitter: @ketab_n

وانتشرت الأزهار والأشجار اليانعة في أركانه، وسمعت زقزقات العصافير بين أفنانه، وسرحت الحيوانات الأليفة بين أغصانه. كما عرف عن ذلك المكان، أن رجاله لا يشيخون أبد الدهر، ولا يشهد النهارات ولا الليالي، حيث لا تشرق الشمس ولا تغيب، بل يأتي النور من تلقاء نفسه، وكأنه قادم من سماء صافية. لكن، لم ير للتنين ورفاقه أي أثر. وتابع الشابان طريقهما، بعد أن تعاهدا على عهد الأخوة مدى الحياة. وبعد مسيرة ثلاثة أيام، وصلا إلى القصور الجميلة ذات الأبراج العالية والجدران المبنية من حجارة ناعمة كالمخمل، والمغطاة بطبقات من الثلج حفظتها أشعة الشمس. وقد بدت تلك القصور فارغة ومهجورة.

دخل الفتى الفقير مع الأمير إلى القصور، وتنقلا بين الغرف المزدانة بالرسوم والتحف الثمينة. وعندما لم يجدا أحداً، حسبا أن التنين ورفاقه خرجوا إلى الصيد، وقررا انتظاره. لكن الشابين دهشا عندما لم يعثرا على شقيقتيهما داخل القصر. ومن شدة التعب، استلقى كل منهما فوق أريكة لأخذ قسط من الراحة. لكنهما نهضا فجأة مأخوذين بما سمعا.

Twitter: @ketab_n

فقد نما إلى سمعهما صوت أغنية مؤثرة لدرجة كفيلة بتليين الأحجار، وكل من سمع الأغنية شعر كأنه في الجنة، وقد رددها صوت أنثوي. لم ينتظر الشابان كثيراً، بل اندفعا نحو مصدر الصوت.

ترى، ماذا وجدا؟ في ذلك الجزء من العالم بني برج زجاجي، جلست في داخله فتاة تغزل وتغني وتبكي، لكن دموعها كانت تتحول فجأة، عند سقوطها، إلى لآلئ رائعة. وقد اتصفت تلك العذراء بجمال أخاذ لا مثيل له. وعند رؤيتها، وقف البطلان بلا حراك، وأطالا النظر إليها. لكن الفتاة كفّت عن غزل الخيوط وعن الغناء أو البكاء، ونظرت إليهما بدهشة.

لم تكن شقيقة أي من الشابين، لكن كما يجري عادة في مثل تلك الأحوال، ظن الفتى الفقير أنها أخت الأمير، وظن الأمير بدوره أنها أخت الفتى.

قال الفتى: «سأبقى هنا. واذهب أنت للبحث عن أختي وتزوجها».

أجاب الأمير: «لا، سأبقى هنا، وامض أنت وأنقذ أختي، لأني سوف أتزوج من هذه الفتاة».

Twitter: @ketab_n

عندئذ دبَّت الخلافات بين البطلين لأنهما أدركا أن الفتاة الجميلة ليست شقيقة أي منهما. استلّ كل منهما سيفه، وكانا على وشك أن يتعاركا، كما يفعل الرجال عندما يضطرون لاقتسام شيء واحد.

لكن قالت الفتاة الجميلة: «توقفا، لا تهاجما بعضكما بعض. من الأفضل أن تكتشفا حقيقتي، قبل أي شيء آخر. لست إلا ظلاً، لن أظهر في أي صورة أخرى في هذا العالم، ما لم يسرقني التنين من الشاطئ الآخر. وإلى أن يحين ذلك اليوم، سأواصل غزل الخيوط والغناء والبكاء، لأني أفكر طوال الوقت بأمي التي تغزل وتغني وتبكي أيضاً. ويجب أن تعلما أن شقيقتيكما اللتين سرقهما أخوا التنين صاحب هذا القصر، تغزلان أيضاً الخيوط وتغنيان وتبكيان».

عند سماع ما قالته الحسناء، انطلق البطلان لاسترجاع شقيقتيهما.

وقبل انطلاقهما، قالت الحسناء: «توقفا. لا تتعجلا الأمر. هل تظنان أنكما قادران على هزيمة التنين وأخويه عن طريق الإرادة فقط؟ إن جهوداً كبيرة ومشاق عديدة تنتظركما. لقد وضعتني أم التنين هنا، من أجل تشجيع ابنها الأصغر على سرقتي

Twitter: @ketab_n

كي يتزوج الإخوة الثلاثة في الوقت نفسه، كما تقضي أوامر الأم العجوز. وقد سجن الأخوان الأكبر والأوسط أختيكما، ولن يستطيعا الزواج بهما ما لم يسرقني أخوهما الأصغر. وفي كل يوم، بعد عودته من الصيد، يقف حيث تقفان، ويطيل النظر إليّ، ثم يعيد أسلحته إلى مكانها، ويطعم حصانه قطعاً من الفحم الأحمر الحار، ولا يستطيع الاقتراب مني لأن الوقت المناسب لم يحن بعد. لذا ابقيا هنا وتغلبا عليه كي لا يسرقني أثناء مواصلة رحلتكما، وتفشلا في الوصول إلى أختيكما. كما أريد أن تتذكرا نقطة هامة، وهي أنكما لن تتغلبا عليه خارج إطار حديقته، لأنه غير مرئي. وهكذا، عندما يعود إلى قصره، يرمي عصاه عند البوابة بقوة هائلة تهتز بفعلها الأرض، وتنهار الجدران، ويدفن أي إنسان يتواجد داخل القصر. ولذا ابقيا لمقاومته، إن شعرتما بالقدرة على الإمساك بأقفال البوابة ومنعه من الدخول عندما يطرق بعصاه. وإن كنتما تعجزان عن ذلك، فأستحلفكما بالله أن تبتعدا، كي لا يقضي عليكما».

تبادل الأمير والفتى النظرات، وقررا البقاء لتنفيذ تلك المهمة. وبينما اتجه الفتى صوب البوابة كي يمسك بأقفالها، استل الأمير سيفه، وأخذ ينتظر عودة التنين.

Twitter: @ketab_n

مضى بعض الوقت، إلى أن سمع، فجأة، صوت أشبه بزلزال ضخم. فقد أُلقيت العصا على البوابات الحديدية حتى خُيّل أن العالم سينهار. وظن الفتى الفقير أنه سيموت من شدة الرعب، وأن الجدران ستنهار فوق رأسه، لكنه أمسك بأقفال البوابة بإحكام. وعندما رأى التنين أن القصر ثابت في مكانه، وأن لا شيء حوله قد سقط أو تلاشى، وقف مشدوهاً.

قال: «ما معنى هذا؟ يبدو أن قوتي تلاشت منذ يوم أمس». ولم يخطر بباله ما ينتظره. وعندما فتح البوابة بصعوبة، لم ينتبه لوجود الفتى. بل اتجه مباشرة نحو الأمير، الذي وقف خائفاً من التنين.

بدأت المعركة. كان الأمير بطلاً بحق، ولكن التنين هو أصغر إخوته وأقواهم. وقد تصارعا بواسطة سيفيهما لأكثر من ساعة. وعندما وجدا استحالة هزيمة أي منهما للآخر بتلك الطريقة، أخذا يتقاتلان بالأيدي، في حين أمسك الفتى الشجاع بالقصر كي لا ينهار على رؤوسهم.

وعندما رأى الفتى أن قوته قد وهنت، وأنه ما من أحد سيهزم الآخر. صاح بصوت مرتفع: «أمسك به واطرحه أرضاً. لم أعد قادراً على الوقوف».

Twitter: @ketab_n

أمسك الأمير بالتنين، واستجمع قوته وطرحه أرضاً حتى تكسرت عظامه وسقط مغشياً عليه.

ثم هرب الأمير عبر البوابة نصف المفتوحة وجرى الفتى خلفه، فسقطت الجدران وانهارت القصور الرائعة. ودفن التنين تحتها. ولم يبق شيء على حاله، سوى البرج الزجاجي، والذي غدا في ذلك الوقت، خالياً مهجوراً. فقد اختفت العذراء الساحرة منذ لحظة موت التنين الذي لم يعد قادراً على سرقتها.

شكر الشابان الله بعد أن تمكنا من إنجاز مهمتهما، ثم تابعا الرحلة حتى وصلا إلى قصر التنين الثاني. ومن مكان بعيد، شاهدا البرج الزجاجي وسمعا الأغنية الحزينة، لكن قلب الفتى اشتد خفقاناً بعد أن تعرّف صوت أخته. وما إن دخل الشابان إلى القصر البديع وشاهدا الفتاة داخل البرج الزجاجي، حتى اندفعا لتحطيمه، وحملاها بين أذرعهم.

لكن النهايات السعيدة لا تتحقق بسهولة. فقد نظرت الفتاة، وقد كانت، في الواقع، أخت الفتى، بدهشة بالغة. وعندما أخبرها أخوها أنه جاء خصيصاً كي ينقذها من قبضة التنين، أجابت أنها لا تعرفه، وأنه لا يشبه أخاها. وكم حزن الفتى الفقير عندما أيقن أن أخته لم تتعرفه، وهو الذي قطع مسافات

Twitter: @ketab_n

طويلة، وتعرض لمخاطر جمة من أجل إنقاذها. وتضاعف حزنه عندما أخبرته أنها وقعت في حب التنين. قالت إنه يأتي في كل يوم ويتأملها بحب وشوق شديدين، ولكن، أبقاها سجينة ولم يتزوجها. ورغم ذلك، تحمل الفتى أخته وصبر عليها. ولكن الأمير، عندما سمع صوتها، وأدرك حبها الكبير للتنين، اشتد غضبه وحنقه على الوحش الكاسر. وقال لها: «حسناً، إن لم ترافقينا بإرادتك، فسنحملك بالقوة».

قالت الفتاة: «اهدأ قليلاً. إن نفذت تهديدك، سأضطر لسحب مسمار من هذا الجدار الزجاجي كي ينهار فوق رأسيكما. ولكني أشفق عليكما، وأنصحكما بمغادرة المكان، لأن زوجي المستقبلي سيقبض عليكما، وعندها لن يشفع لكما أحد على وجه هذه الأرض».

عندئذ، أخرج الفتى الفقير من حقيبته رغيفه المصنوع من الرماد، وقال: «أرجو، يا أختي، أن تتذوقي هذا الخبز. وبعد ذلك قولي إني لست أخاك».

مدت يدها، وفتحت الجدران الزجاجية، وبعد أن تناولت قطعة الخبز وتذوقتها، أيقنت أنه ممزوج بحليب أمها، وسيطر عليها حنين جارف لدرجة جعلت أخاها ومعه الأمير يرثيان لحالها.

Twitter: @ketab_n

قالت: «هيا لنهرب بسرعة، وإلا فسيقضي علينا فور عودته».

أخذه الفتى أخته بين ذراعيه وقبّلها، كما ضمها الأمير إليه وقبّلها، لأنها شقيقة الفتى الفقير الذي تعاهد على أن يكون بمثابة أخ له.

ثم اتفق الشابان على القضاء على التنين كما أجهزا على أخيه. وهكذا انتظرا وصوله وقاتلاه ونجحا في القضاء عليه. وبعد أن شكرا الله وحمداه، تابعا الرحلة من أجل إنقاذ ابنة الإمبراطور.

ومرة أخرى برزت أمامهما عقبة جديدة. فقد رفضت الأميرة أن يتم إنقاذها، ولم تتعرف على أخيها، خاصة أنه لم يحمل معه ما يؤكد صحة أقواله بأنه هو الأمير شقيقها.

وإذ هدد الفتى الأميرة بأن يأخذها بالقوة، إن لم تأت طواعية، وضعت يدها على المسمار الخطير، واستحال على الأمير ورفيقه إقناعها.

في تلك الأثناء، أدركا صعوبة القضاء على التنين الأخير. إذ لم يكن هناك سوى بطلين. ولو ذهب أحدهما لانتظاره عند البوابة، وكمن له الآخر بسيفه، لما بقي أحد لحمايتهما من المسمار.

Twitter: @ketab_n

ولأن الفتى الفقير هام بالأميرة منذ أن رآها، قال للأمير: «دعني أقتله، فإما أن أنقذ الأميرة، أو أهلك دونها».

نفهم من ذلك، أن الفتى قرر محاربة التنين في مكان مفتوح حيث يستحيل رؤيته، وهو شيء لم يحدث قط.

اختبأ الأمير وشقيقة الفتى داخل حفرة بجوار القصر، وكمن الفتى خلف بوابة القصر بانتظار عودة التنين كي يرمي عصاه كما فعل أخوه. وقد انتظر طويلاً على أمل أن يصرع التنين بسيفه أو بقبضتيه.

ولدى سماعه صوت العصا تطرق على البوابة الحديدية، لم يضيع الفتى لحظة واحدة، بل فتح البوابة الأخرى فانهار القصر من خلفه.

صاح: «هيّا تقدم إن كانت لديك الشجاعة للظهور أمامي». وظنّ الفتى أن التنين سيجيبه وسيكشف له عن مكانه.

لكن التنين شعر بأنه وجد نداً له، وإذ امتنع عن الكلام، ولكونه غير مرئي، اقترب من الفتى واستلّ سيفه، ووجهه مباشرة إلى رأس عدوه كي يقطعه. لكن الضربة لم تؤد سوى لكسر فك الفتى، الذي تألم من شدة الضربة، لكن سر بها لأنه

Twitter: @ketab_n

نفعته في التعرف على مكمن عدوه. وهكذا اندفع في الجهة التي جاءت منها ضربة السيف. وسدد ضربات سريعة بسيفه، وشعر بأنه أصاب التنين، فكرر ضرباته وطعناته حتى وجد أنه لم يعد يضرب شيئاً.

مرة ثانية، سدّد التنين ضربة قوية إلى رأس الفتى فأصاب أذنه اليمنى.

صاح الشاب، وهو يهجم على التنين: «ستدفع الثمن غالياً».

لكن، في ذلك الوقت، وهنت قوى الفتى، وسدد ضربتين أخيرتين قبل أن يضيع هدفه.

راقبت الأميرة المعركة من برجها الذي ظل صامداً، وأعجبت إعجاباً شديداً بشجاعة الفتى وبراعته في القتال. وعندما رأت أن التنين يحاول تسديد ضربة ثالثة إلى رأسه صاحت: «أيها البطل العزيز، استدر جهة اليمين، وابصق ثلاث مرات وسترى عدوك».

لدى سماع الفتى الشجاع ما قالته الأميرة، شعر بأنه بات أقوى، وأن قدرته على القتال تضاعفت أكثر من ألف ضعف.

Twitter: @ketab_n

وإذ استدار وبصق، ظهر التنين أمامه. فاندفع نحوه، وأمسك به وضغط عليه حتى سحق عظامه. ثم رمى به على الأرض فمات كما تموت الفئران.

لم يضيع الفتى والأمير وقتاً في الإعداد لرحلة العودة إلى الوطن. وقبلت الأميرة الفتى، وسرعان ما شفيت أذنه وفكه، فبدا أكثر وسامة من ذي قبل.

واتجه الرفيقان إلى إصطبلات التنين، والتي كانت مخفية تحت سطح الأرض. أخذ كل منهما جواداً مسحوراً وركبه مع خطيبته، واتجه بسرعة نحو بلاده.

كان الإمبراطور الأحمر رجلاً عادلاً لا نظير له بين الرجال. قسّم إمبراطوريته بين ابنه وزوج ابنته.

وقد ذهب الفتى الشجاع إلى أمه كي يأتي بها إلى القصر. وعند وصولها أقيم فرح عظيم لن ينساه الناس ما عاشوا على هذه الأرض.

Twitter: @ketab_n

جاك المدلل

تبقى الأحداث غير العادية في ذاكرة الناس. ويتناقلونها جيلاً بعد جيل.

في قديم الزمان، عاش رجل رزق بسبعة أبناء، وكان أحبهم إلى قلبه جاك وهو أصغرهم، الذي حالفه الحظ منذ ولادته، فكان بالنسبة لأبيه كبؤبؤ العين.

وكان جاك الأكثر سمنة ودلالاً بين إخوته. لكن أباه لم يكن يولي أولاده وأسرته الرعاية والاهتمام. فكان يأتي ويذهب، ويظهر ويختفي، وكأن البيت ليس سوى مكان للنوم. وأما الأم فقد كانت بمثابة روح البيت وريحانته، تطعم طفلاً، وتحمم آخر، وترعى شؤون ثالث. وكان جاك الابن المفضل عند أمه، أو كما يقولون ابن أمه، فكانت تعتبره أجمل أبنائها وأذكاهم.

Twitter: @ketab_n

وقد قالوا قديماً: «ليس من صالح الأبناء أن يكونوا دوماً في المصاف الأولى، ولا يفيدهم الحصول دوماً على رغباتهم ولا التحكم بشؤون الأسرة».

لكن جاك المدلل اكتشف مع كل يوم جديد أشياء جديدة. وكلما كبر أصبح أكثر حباً للمشاكسة، وأكثر عناداً وتشبثاً بالرأي. ونتيجة لذلك، كثيراً ما جرت خلافات في البيت بسبب كثرة دلاله.

وقد اعتاد جاك على سماع كلمات التقريع والتأنيب يومياً. ولكن، عندما ثبت أن الكلام القاسي لا يترك فيه أثر، تبعه العقاب. وبما أن جاك أصغر الأبناء السبعة وأحبهم إلى القلب، فإن من يعاقِب هو الذي يتألم، وليس من يتلقى العقاب. فإن ضربه أبوه، كفكفت أمه دموعه. وإن لطمته بيدها، حرصت على إخفاء الأمر عن أبيه. وإن كسر جاك جرة، تسارع الأم لالتقاط القطع المكسورة، ورميها بعيداً، وعدم توبيخ الفتى، لأنه لا شيء يستحق الذكر.

وهكذا انتهى الحال إلى إفساد جاك، الذي أصبح فتى متمرداً، لا يأبه لأحد. وإن أراد أبوه تعليمه شيئاً ما، وقال له: «أرجو يا بني أن تنفذ هذا الأمر على الوجه الصحيح. إن الثيران توضع أمام

Twitter: @ketab_n

العربات، وبهذه الطريقة تحمل الأكياس على الظهر»، وغيرها من الدروس المفيدة، كان عقل جاك مشغولاً بأمور أخرى، وغالباً ما قال لأبيه: «دعني وشأني».

وظل على حاله تلك، رافضاً تعلم أي شيء نافع، وممتنعاً عن القيام بأي عمل، إلى أن كبر وأصبح شاباً لا يتقن من شؤون الدنيا شيئاً، ويجهل سبل العيش.

ذات يوم، كان والد جاك يستعد للمشاركة في معرض زراعي، وقد أصبح كل شيء جاهزاً باستثناء وتد لم يثبته بعد في النير.

قال جاك: «أبي، سأرافقك إلى المعرض».

أجاب الأب «من الأفضل أن تبقى في البيت لئلا تضيع في السوق».

«أريد مرافقتك».

«لن أصحبك».

«بل سأذهب».

«لن آخذك معي».

Twitter: @ketab_n

لكن من عادة الأطفال المدللين أمثال جاك، تحقيق رغباتهم دوماً. لم يستطع أباه أن يرفض له طلباً، فوضعه في العربة، وقادها نحو المعرض.

وقال الأب: « ابق إلى جانبي».

قال جاك: «أمرك، يا أبي». وقد بدا مطيعاً لأول مرة في حياته.

وظل جاك متسمراً في العربة حتى وصلا إلى القرية. ثم نهض وانحنى كي يتفحص العجلات، وتساءل كيف يمكن لعجلة أن تتحرك من تلقاء ذاتها، وكيف تنتقل عجلة إثر أخرى، وتتحرك دوماً إلى الأمام دون أن تغيب عن ناظريه.

وعندما وصلا إلى الغابات، رفع جاك رأسه وجال ببصره متأملاً جمال الطبيعة وسحرها. رأى الأشجار على جانبي الطريق، وهي تتحرك واحدة إثر أخرى، وظن أن ساحرة تحركهما. ثم قفز جاك من العربة، وداس مرة ثانية على أرض ثابتة، ودهش من جديد. عندما رأى الأشجار ثابتة، والعربة ماضية في طريقها.

Twitter: @ketab_n

صاح جاك: «قف، يا أبي، حتى أرى كيف تدور العجلات».

لكن خوفاً كبيراً استبد به. فقد سمع صدى صياحه يتردد من عشر جهات مختلفة، في حين تابع أبوه طريقه دون أن يسمع نداءه.

ومن جديد صاح: «أبي»، وتردد صدى صوته أيضاً عشر مرات، وساوره خوف كبير، وشعر بأن لا مكان في الوجود أكثر أماناً من بيته. ولذا أخذ يجري على طريق العودة. وعندما نظر خلفه، لم ير سوى سحابة من الغبار، وظل يجري إلى أن وصل إلى طريق آخر.

في تلك الحالة، يمكن تخيل ما تؤول إليه حال الأطفال المدللين الذين لا يتبعون نصائح الكبار ولا تعليماتهم. فقد ضل جاك طريق العودة إلى بيته، عندما سلك طريقاً آخر عبر الغابة. جرى طويلاً إلى أن تباطأت خطواته تدريجياً. وفي نهاية المطاف، أخذ يمشي قاطعاً غابة إثر غابة، وصولاً إلى سهل، ومن خلفه غابة ثم سهل، حتى حلّ به التعب والضجر.

Twitter: @ketab_n

نادى جاك ربه، وقد امتلأ قلبه بالهم والغم: «ارحمني، يا ربي. لن أعصي بعد اليوم أوامر أبي ولن أغضب رغبات أمي». وبعد ذلك سار قليلاً إلى أن وصل إلى قرية تقع إلى جوار غابة كثيفة. قفز فرحاً عندما رأى القرية، وجرى حتى وصل إلى وسطها. انتقل من بيت إلى بيت، ورأى مختلف البيوت باستثناء بيته. وشعر بحيرة كبيرة وارتباك شديد وأخذ في البكاء.

سأله رجل كان عائداً من الحقول، ويسير إلى جانب عربة تجرها أربعة ثيران: «لماذا تبكي، يا بني؟».

قصّ عليه جاك حكايته فأشفق الفلاح الطيب عليه وسأله: «ما اسمك؟».

أجاب الصبي: «جاك».

«ما اسم أبيك؟».

أجاب الصبي: «اسمه أبي».

«وما اسم القرية التي خرجت منها؟».

قال: «القرية».

Twitter: @ketab_n

وهكذا لم يجب جاك جواباً مفيداً عن أي سؤال، وما استطاع الرجل مساعدته. ولذا طلب منه العمل في خدمته. فقد احتاج لمن يساعده في حراثة الأرض. طلب الرجل من جاك أن يقود الثيران بينما يمسك هو بمقبضي المحراث. وهكذا غدا جاك خادماً عند ثري يعيش في قرية تقع عند أطراف غابة. لكن الفتى لم يقدم خدمة تذكر، لأنه لم يتعلم شيئاً من قبل. ومن لا يتقن عملاً، لابدّ من أن يواجه متاعب جمة وتقريعاً متواصلاً.

ذات يوم، كان سيد جاك يستعد للذهاب إلى السوق، وقال له: «اسمع، يا جاك، زيّت العربة جيداً. سنذهب غداً إلى السوق».

قال جاك: «حسناً». وحمل الزيت وأخذ يفكر ملياً. فهو لا يعرف كيف يزيّت العربة. ولم يستمع قط لأبيه عندما حاول تعليمه، ولم ينظر إليه أثناء عمله. ولذا لا يتقن شيئاً من هذا القبيل.

ولم يجد جاك بدّاً من تجميع بعض المعلومات. تذكر أن النير أهم جزء في العربة، وأن الوتد جزء هام منه. لذا حسب أن عمله يجب أن يبدأ من هناك إن أراد إنجازه على نحو جيد. وقد زيّت جميع أجزاء العربة. ثم توقف عندما نفد الزيت ومضى لطلب كمية إضافية.

Twitter: @ketab_n

دخل غرفة سيده وقال: «أعطني مزيداً من زيت التشحيم».

أجاب سيده بغضب: «لماذا تطلب المزيد منه؟ أعطيتك ما يكفي لتشحيمها ثلاث مرات».

قال جاك إن الكمية لم تكف سوى لتزييت مقعد المركبة وإطاراتها.

عند سماعه ما قاله جاك، جره من أذنه، وأخرجه من الغرفة، وضربه بشدة، كي لا ينسى في حياته كلها بأن محاور العجلات هي فقط التي تحتاج إلى تزييت.

وهكذا أُجبر جاك المدلل، ابن أمه، على تحمل الضرب والتوبيخ، وتعلم كيفية تزييت العربة ودروساً أخرى مفيدة.

بعد أن أصبحت العربة جاهزة، وضع الثيران أمامها، واتخذ الرجل مكانه في المقدمة، وانحشر جاك في مؤخرة العربة، وهو ينشج من حين لآخر من شدة البكاء.

وقال سيده قبل أن ينطلق: «أسكت، لا أريد أن أسمع منك كلمة أخرى».

Twitter: @ketab_n

جلس جاك ثابتاً في مكانه يكاد لا يجرؤ على التنفس. ولكنه شعر، بعد حين، بالضجر، وأخذ في مراقبة العجلات. لكنه، في ذلك الوقت، أصبح أكثر حكمة، ولم يعد يتساءل عن كيفية دوران العجلات، أو تحرك الأشجار، ثم رأى شيئاً لم يستطع فهمه. فهو لم ير قط وتداً يخرج من مكانه، أثناء دوران العجلة.

ولم تمض سوى لحظات حتى اعترض حجر كبير طريق العربة. عند تلك اللحظة، قفز الوتد بعيداً عن محور العجلة وسقط على الأرض. لم يعرف جاك سبباً وجيهاً لذلك، وودّ أن يسأل سيده، لكن الفلاح أمره بأن يغلق فمه. وبعد قليل تراخت الصمولة، فظن جاك أنه فهم شيئاً، وسرعان ما سقطت الصمولة خلف العربة. دهش جاك وأوشك على أن يقول شيئاً، لكن عندما نظر إلى سيده تذكر أنه أمره بالتزام الصمت. لكن شيئاً واحداً لم يفهمه. فإن كانت الصمولة قد سقطت، جرياً وراء الوتد، إذن ستسقط العجلة بعد سقوط الصمولة. لم تكد تلك الفكرة تخطر على باله، إلا وسقطت العجلة في التراب خلف العربة.

تابعت العربة طريقها لفترة من الوقت على ثلاث عجلات، إلى أن انقسم الوتد قسمين، وأصبحا في مواجهة مشكلة حقيقية.

Twitter: @ketab_n

صاح جاك في خوف: «ألم أقل بأن هذا ما سوف يقع؟».

استشاط الفلاح غضباً، إذ ليس من السهل الوقوف وسط الطريق إثر تحطم وتد العجلة. وأمسك بجاك وضربه، ثم طرده من خدمته كي لا يسبب له مزيداً من المتاعب.

ولكن الفلاح ارتكب خطأً كبيراً عندما منع جاك من الكلام. ومن جانبه كان جاك مسؤولاً بعض الشيء عما جرى. إذ لو كان مطيعاً منذ صغره لكان قد تعلم شيئاً نافعاً، وأمكن له تنبيه الفلاح للعطل في العربة. لكن عناده وفساد تربيته وتدليله لم تفده في شيء.

وتابع الفلاح رحلته بعد أن ترك جاك على قارعة الطريق لا يدري ماذا يفعل. وسار في درب لا يعرف إلى أين سيقوده على أمل أن يصل إلى بيته. وبعد أن قطع غابات وسهولاً وكاد أن يفقد وعيه من شدة التعب، وصل إلى قرية تقع وسط سهل جميل.

على أطراف تلك القرية التقى رجلاً يرعى ماشيته.

«كيف حالك، يا سيدي؟».

«الحمد لله، باركك الله».

Twitter: @ketab_n

وكما يقول العامة إن كلمة تقود إلى أخرى، قص جاك على الرجل قصته بإيجاز. وقد سر الفلاح لأنه، في ذلك الوقت، كان في حاجة لراعٍ يقود قطيعه إلى المرعى وإلى نبع الماء، وأن يحرسه كي لا يختلط بقطيع آخر. وكان القطيع، يتألف في معظمه من النعاج التي خشي عليها من التعرض لأي أذى. وقال له الفلاح إن تلك النوعية من النعاج لا مثيل لها إلا في زرائب الإمبراطور، فهي من سلالة حمَل عاش هناك. ولذا يمكن لنا جميعاً أن نتصور كم هي جميلة وفريدة تلك النعاج، بالنظر لانحدارها من حمل عاش في زرائب ملكية.

سرّ جاك أيضاً، بعد أن حالفه الحظ مجدداً. وهكذا عقدا صفقة وأصبح جاك راعياً.

قال المزارع: «عليك أن تراقب القطيع طوال اليوم، وأن تقوده إلى الوادي كي يشرب. وعندما يحل الظلام، عليك إعادته إلى الزريبة. وإن كان الطقس بارداً، أشعل النار عند مدخل الزريبة كي لا تتجمد النعاج».

تلك كانت أوامر الفلاح، وقد وعده جاك بتنفيذها حرفياً.

بدأ جاك عمله كراعٍ مطيع. في النهار قام على حراسة القطيع،

Twitter: @ketab_n

وعند شعوره بالعطش قاده نحو الوادي كي يرتوي، وفي المساء أعاده إلى الحظيرة. وقد وجد جاك الزريبة غريبة الشكل لم يرَ شبيهاً لها من قبل. كانت مسيّجة بسور من أغصان الصفصاف، وصنع سقفها من أوراق الأسل[1] لوقايتها من الأمطار.

وفي أحد أركان الحظيرة، وجد جاك فتحة غطاها سقف من عيدان القصب استند إلى أعمدة.

قال جاك لنفسه: «هذا هو، بالتأكيد، مدخل الحظيرة». وقد سرّ بما توصل إليه.

ولأنه شعر بالبرد، فقد أشعل النار في مدخل الزريبة، أي تحت السقف المصنوع من عيدان القصب. وجلس بالقرب من النار كي يتدفأ. ثم تذكر أن سيده أمره بإدخال القطيع إلى الزريبة لوقايته من الصقيع. ورغم عدم اقتناعه بأن داخل الزريبة أدفأ من خارجها، فقد نفذ أمر سيده.

أمسك بأقوى كبش، وهو الذي حمل جرساً كبيراً حول عنقه، ودفعه نحو مدخل الزريبة.

(1) الأسل أو السمار: نبات تستعمل أوراقه الأسطوانية الطويلة في صنع مقاعد الكراسي (م).

Twitter: @ketab_n

لكن يا للأسف، كانت النار مشتعلة في المكان، واحترق الكبش حتى لم يبق على جسده خيط من الصوف. صاح جاك، وهو فرح بعمله: «وجدتها! يجب إدخال القطيع عبر النار كي نحميه من الصقيع والتجمد».

وإذ شعر أنه يقوم بواجبه على أحسن وجه، دفع القطيع نحو الحظيرة واحداً تلو الآخر.

وفجأة، لاحظ أن النار شبّت في السياج والسقف والسطح المطل على فتحة الزريبة. ولم يحرك جاك ساكناً، إذ لم يرَ من قبل شيئاً من هذا القبيل، وشعر بالرضا لأنه نفذ أوامر سيده، حيث لن تشعر النعاج بالبرد وهي وسط النيران.

وتمنى لو كان سيده هناك، كي يقول له: «أحسنت، لقد أجدت رعاية القطيع».

وقد تحققت أمنيته. فقد كان سيده جالساً حول المائدة، يتناول خبزاً وبصلاً لأنه كان صائماً، عندما رأى من خلال النافذة ناراً تتقد فوق الجبال. وعندما حدّق جيداً، لاحظ أن النار تشتعل في الزريبة، وهو أمر غير مألوف.

Twitter: @ketab_n

خرج الفلاح من بيته مسرعاً، وجرى بأقصى سرعته وصعد الجبل حتى وصل إلى الزريبة.

هناك صُعق مما رآه. فقد احترقت الحظيرة، واشتعلت النيران في السلالة النقية من النعاج، وأجهزت عليها. أدرك جاك أنه ارتكب خطأً فادحاً، وسينال عقاباً شديداً. وهذا ما جرى.

فقد استبد بالفلاح غضب شديد، وأمسك بجاك وضربه ضرباً مبرحاً، وكاد أن يقتله لولا أنه نجح في الهرب بعيداً.

جرى جاك بأقصى سرعة دون أن ينظر وراءه، حتى وصل إلى أطراف غابة. وقد ندم على تهوره الذي قاده مرة أخرى إلى التشرد والضياع.

وسار عبر الغابة، وجال بنظره تارة إلى اليمين وتارة إلى اليسار، ومرة إلى الأمام ومرة إلى الخلف باحثاً عن طريق يقوده إلى بيته. وقد شعر بجوع وعطش شديدين، لدرجة أنه امتص الندى من أوراق الأشجار، وأكل جوز بلوط وجده على أرض الغابة. ثم شعر بالتعب والخوف.

Twitter: @ketab_n

وحل الليل وساد الظلام أركان الغابة. ولم يجد جاك مكاناً يأوي إليه. وسيطر عليه رعب كاد أن يقضي عليه، خاصة عند سماعه عواء الكلاب وأصوات الدببة والوحوش البرية من حوله.

ثم رأى شجرة عالية في جذعها فتحة تكفي لإيوائه. اقترب من الشجرة، وقرر الاختباء في داخلها لينجو من الوحوش الضارية. وكم كان سعيداً لشعوره بالأمان لدرجة أنه نسي جوعه وعطشه. وسرعان ما استغرق في نوم عميق من شدة التعب، وحلم أنه في بيته يأكل الكعك والحليب.

واستيقظ فجأة على أصوات عالية وطلق ناري.

ما الذي جرى يا ترى؟ على بعد خطوات قليلة منه، جلس اثنا عشر من اللصوص وقطاع الطرق مع زعيمهم حول نار أشعلوها للاستضاءة ولشواء لحم ثور. وقد فتح اللصوص قارورة من النبيذ لإقامة حفل صاخب. وعندما رأى جاك الثور حول سيخ الشواء شعر بجوع كبير. ولم يدر وهو الغرّ، القليل الخبرة، أنه لا أمان للصوص. لذا خرج من مخبئه في الشجرة واقترب منهم.

Twitter: @ketab_n

طلب جاك شيئاً يأكله. أمعن اللصوص النظر إليه، وأخذوا في شحذ سكاكينهم كي يقتلوه قبل أن يتفوه بكلمة أخرى. تلك هي عادة اللصوص. فهم لا يستضيفون أحداً.

وقال أحدهم: «مهلاً، ألا يحتمل أن يكون هذا الفتى مفيداً لنا؟».

سأل آخر: «كيف؟».

قال أكبرهم: «قد يكون الفتى أصغر سبعة أبناء، وعندها سيساعدنا في العثور على الورت[1] الحديدي».

صاحوا بصوت واحد: «صحيح».

وهكذا استجوبوا جاك، وسروا بشدة عندما علموا أنه حقاً أصغر سبعة أبناء. وخلاصة الأمر، أن اللصوص خرجوا في رحلة بحث عن مبلغ كبير من العملات الذهبية تسلمها الإمبراطور من تاجر كان مديناً له منذ وقت طويل. وقد سعى اللصوص لسرقة ذلك الكنز. لكن الإمبراطور خبأه داخل غرفة موصدة بسبعة أبواب حديدية. وعلى كل باب وُضعت سبعة أقفال بمهارة كبيرة كي لا يتمكن أحد من فتحها. ذلك كان تدبير إمبراطوري

(1) الورت: نبتة تتحول بعد تخمرها إلى جعة (م).

Twitter: @ketab_n

ذكي. ونتيجة لذلك، سعى اللصوص لاستشارة ساحرة من أجل تزويدهم بتعليمات وسحر فعال يمكنهم من اختراق الأبواب والأقفال الحديدية. قالت الساحرة إنه لا شيء سوى الورت الحديدي سيكون فعالاً في فتح الأقفال، وأن تلك النبتة لن يعثر عليها سوى أصغر سبعة إخوة، وهو مازال طفلاً بريئاً. وقالت الساحرة إن الطفل السابع سيعثر على الورت الحديدي ساعة الفجر، وهو يلمع وسط مرج غني بالأزهار والرياحين. كما أشارت عليهم الساحرة، بأنه من يمسك بالنبات عليه أن يجرح إصبعه، وأن يدس النبات في الجرح، وأن يتركه هناك حتى يشفى جرحه. وفيما بعد لن يصعب على ذلك الشخص فتح أي بوابة أو قفل أو صندوق حديدي.

من هنا أصبح لذلك النبات قيمة كبيرة عند اللصوص. ومنذ تلك اللحظة، أخذوا في الاهتمام بجاك وتدليله. أعدوا له فراشاً وثيراً، لكنهم هددوه بالقتل ما لم يعثر على النبات السحري. وعندما خلد إلى الفراش، ظل جاك المسكين يحلم بالبحث عن أعشاب ونباتات برية.

وعند بزوغ الفجر، أيقظه اللصوص وأرسلوه للبحث عن الورت الحديدي.

Twitter: @ketab_n

زحف جاك بين الأزهار والأعشاب، وإذ هو على تلك الحالة، رأى شيئاً يلمع، فحدّث نفسه بأنه لابدّ من أن يكون ذلك النبات اللامع هو الورت الحديدي.

وكان أحد اللصوص أعور سُجن داخل حصون الإمبراطور، وهرب ذات يوم حاملاً قيوده. وقد تخلص فيما بعد من السلاسل الحديدية، لكن قيديه صنعا من نوعية من الحديد لم تنفع النار في إذابته. وقد لمس جاك القيد بواسطة النبتة فانفك سريعاً.

قال اللص بسرور بالغ: «بارك الله فيك وأسعدك، يا بني، لقد حررتني من قيدي».

لكن عندما أمسك زعيم اللصوص بالنبتة كي يفك القيد الثاني، لم تنفعه في شيء رغم جهود مضنية بذلها. لم تخبرهم الساحرة أن النبتة لا تطيع سوى من عثر عليها.

وعندما أدرك اللصوص أن الورت الحديدي لن ينفعهم، استشاطوا غضباً وحنقاً، وشحذوا سكاكينهم وسيوفهم لقتل جاك.

قال الأعور: «توقفوا. لقد تعهدتم بالإبقاء على حياته إن وجد النبتة. وقد جاءنا بالورت الحديدي، ونحن رجال نحافظ على عهدنا».

Twitter: @ketab_n

واتفق اللصوص على ترك جاك وشأنه، ولكنهم خافوا أن يشتكي ضدهم، فوجدوا طريقة أخرى للتخلص منه.

ترى، ماذا فعلوا به؟ وضع اللصوص جاك داخل برميل خشبي وأغلقوه، وأحاطوا البرميل بحلقات حديدية، ثم مضوا بعيداً.

وهكذا ساء حال جاك، الذي انتقل من سيء إلى أسوأ، إلى أن غدا سجيناً داخل برميل ضيق. وأخذ يصيح ويندب حظه ويبكي، إلى أن سمعت ذئاب جائعة صوته، وجرت نحو البرميل على أمل إيجاد فريسة لذيذة. لكنها عجزت عن فتح البرميل، في حين هدأ جاك والتزم الصمت عندما نظر من ثقب البرميل وأدرك أن الذئاب تهمّ بالتهامه.

ثم هجمت الذئاب على بقايا الثور، وتقاتلت حول عظامه. وأمسك أحدهم، وهو أكبرهم وأشدهم شراسة، بعظمة وأخذ يقطعها بأسنانه بالقرب من البرميل، فارتعد جاك خوفاً ورعباً.

وفجأة لاحظ جاك أن ذيل الذئب دخل من ثقب في البرميل. عندئذ شعر بخوف أشد، وكلما اقترب منه الذيل، غدا أكثر قلقاً. وفي آخر الأمر، هز الذئب جسده ومال إلى الخلف حتى دخل

Twitter: @ketab_n

كامل ذيله ولامس أنف جاك. ومن شدة خوفه وقلة حيلته، لم يدر كيف أمسك بكل قوته بذيل الذئب وشده إليه. في تلك اللحظة، شعر الذئب بالرعب وهرب بعيداً جارّاً معه البرميل مما أحدث جلبة مدهشة.

فقد جرى الذئب وخلفه البرميل بين الأشجار وفوق الهضاب وعند السفوح والوديان. ومن شدة خوفه، ظل جاك ممسكاً بذيل الذئب، إلى أن اصطدم البرميل بجدار سميك وفُتح أمامه.

جرى الذئب بعيداً، لكن جاك وجد نفسه داخل بيته وهو قابض بكلتي يديه على ذيل الذئب بعد أن فصل عن جسد صاحبه.

وبهذا الشكل انتهت قصة جاك المدلل، ومن يعرف المزيد عن هذه الحكاية الغريبة فليكملها لنا.

Twitter: @ketab_n

تيليرشين

ذات يوم، جرت حكاية غريبة لم يسمع الناس بها من قبل، ولذا تناقلوها من جيل إلى جيل.

عاش في قديم الزمان رجل وزوجته. وكان للرجل ابن من زوجة سابقة، وللمرأة ابنة من زوجها الأول. ولم تكن تلك المرأة الشريرة تطيق رؤية ابن زوجها.

وذات يوم قالت: «يا زوجي العزيز، إن لم تطرد هذا الفتى من بيتنا، فلن أتناول معك الطعام بعد اليوم».

«لكن إلى أين سأرسله يا زوجتي؟ دعيه بيننا إلى أن يشتد عوده، ويصبح قادراً على كسب عيشه».

قالت الزوجة: «إني أعني تماماً ما قلته. ولك الخيار».

وعندما أدرك الرجل استحالة ثني زوجته عن قرارها، قال لابنه: «ولدي العزيز، كما ترى صرت طاعناً في السن، ولم أعد

Twitter: @ketab_n

قادراً على العيش دون مساعدة زوجتي التي ترفض بقاءك بيننا. لذا اذهب، يا بني، إلى أي مكان لكسب عيشك. وإن هداني الله إلى مكانك، فسأزورك من وقت لآخر».

قال الفتى: «أعلم، يا أبي أن زوجتك لا تطيق رؤيتي، ولا أعرف سبباً لذلك. لم أكن في يوم ما عاصياً لأمرها، بل لطالما لبيت مطالبها وأطعت أوامرها، لكن دون جدوى. إنها لا تحتمل وجودي. لذا سأخرج طلباً للعيش والعمل في أي مكان يهديني إليه الله. سأكون قادراً على كسب لقمة عيشي، لأني فتى قوي البنية، خالص النية. أرجو يا أبي أن تزورني من حين لآخر، لأني سأتحرق شوقاً إليك».

«اذهب يا بني، وفقك الله».

«أرجو أن نلتقي على خير، يا أبي العزيز».

ودّع الفتى أباه والدموع تسيل على خديه، ثم خرج من بيته. وسار طويلاً حتى التقى رجلاً ثرياً عمل عنده خادماً. وظل في خدمته سبع سنوات. وكان سيده راضياً عن عمله كل الرضا. لكن شوقاً جارفاً لأبيه استبد بالفتى، على نحو مفاجئ، ولم يعد يحتمل البعد عنه.

Twitter: @ketab_n

وقال لسيده إنه عازم على زيارة أبويه، فأجاب الرجل: «عملت يا بني في مزرعتي لمدة سبع سنين، وقد أجدت عملك. ألم يعد المكان مناسباً لك؟ أم عثرت على عمل آخر بأجر أعلى ولذا تريد إنهاء خدمتك عندي؟».

«لا شيء من هذا القبيل، يا سيدي. لكني أتوق شوقاً إلى بيتنا، وأشعر برغبة قوية لرؤية أبي والاطمئنان عليه. أرجو أن تسوي حسابي».

«حسناً، يا بني، لا يمكن للمرء أن يجبر أحداً على العمل عنده. وأنت لم تحدد أجراً عند قدومك إليّ. وكمكافأة على خدماتك المخلصة، تستطيع أن تختار من قطيع ماشيتي كبشين كبيرين وعشرة كباش أصغر حجماً».

سرّ الفتى سروراً شديداً لدى سماعه ما قاله سيده، لأنه كسب بجهده ذلك الأجر الكبير.

ومضى إلى الحظيرة، وأخذ يتفحص الكباش والنعاج ويفكر فيما سيختاره. لم يرغب بأخذ أفضل ما في القطيع، لأنه ظن أن خدماته لا توازي قيمتها. ولكنه لم يرغب أيضاً باختيار أسوأ ما فيه. لذا حار في أمره، ثم اختار الكباش

Twitter: @ketab_n

المتوسطة الحجم والقيمة. وبينما يمشي في الحظيرة، وقعت عينا الفتى على ثور نظر إليه ملياً. لذا اختار الثور إلى جانب بقرة.

وبعد أن استعد للرحيل، لم يشغل باله شيء سوى أبويه، ظاناً أن زوجة أبيه لم تكن تكرهه فعلياً.

ثم ودّع سيده ومضى في طريقه. وكان الثور مسحوراً، من دون علم الفتى، الذي أطلق على الحيوان اسم تيليرشين.

وصل إلى بيته، وكاد أبوه يطير فرحاً لحظة رؤيته لابنه الذي أصبح أكثر طولاً ووسامة وحكمة. لكن زوجة أبيه الشريرة تصرفت كأن في أعماقها سبعة شياطين. وبعد أن استقر الفتى في بيت أبيه، أخذ في مساعدته في الحقل، وفي رعي القطيع. وكلما ذهب إلى المرعى، أعطته زوجة أبيه قطعة من الكعك المحلى، لكن تلك المرأة الشريرة أعدت الكعك من رماد، ولذا لم يستطع أكلها. وحار الفتى المسكين في أمره. فعند الظهيرة، وعوضاً عن تناول وجبة شهية كباقي البشر، اعتاد على الجلوس تحت ظل شجرة يبكي ويندب حظه. ورغم ذلك لم يطلع أباه على شيء خشية أن يسبب مشكلة بينه وبين زوجته. كما افتقر الفتى إلى الراحة في بيته، وللرفاق خارجه. ولذا بدا حزيناً شارد الذهن دوماً.

Twitter: @ketab_n

وذات يوم، بينما يبكي وهو جائع، وإلى جواره مجموعة من الرعاة يتناولون طعامهم، حدثه تيليرشين فجأة وقال له: «أرجو يا سيدي ألا تحزن بعد اليوم. تخلص من كعكة الرماد، وأمسك بقرني الأيمن، وكل واشرب ما تجده هناك».

أجاب الفتى: «لابدّ من أنك مسحور. لم أسمع قط شيئاً من هذا القبيل. منذ متى أصبحت قادراً على الكلام؟».

«أرى أنك فتى رائع، وأشفق عليك من كثرة البكاء. أرجو أن تستمع إلى نصيحتي ولن تندم أبداً».

وهذا ما تم. أمسك الفتى بقرن تيليرشين الأيمن، ودهش عندما خرجت له كعكة بيضاء كالثلج، وكوباً من العصير الطازج يسيل له اللعاب. أكل الفتى حتى شبع، وشرب حتى ارتوى.

لاحظت زوجة أبيه أن وجه الفتى غدا أكثر امتلاءً، وأن روحه المعنوية عالية، وأدى عمله بهمة ونشاط. وعوضاً عن فقدان وزنه يوماً بعد آخر، كما توقعت تلك المرأة الشريرة وتمنّت، اكتسب سمنة، وأصبح أكثر وسامة ونشاطاً.

وسرعان ما اكتشفت زوجة الأب، أن تيليرشين هو مصدر تلك الحالة الغامضة، لأنها لاحظت أن الفتى يوليه اهتماماً أكبر

Twitter: @ketab_n

مما يوليه لباقي أفراد القطيع. وبحثت تلك المرأة عن وسيلة تمكنها من معرفة ماذا يأكل الفتى ويشرب في الغابات. وقد أرسلت ابنتها كي تتعقبه، وأمرتها بمراقبة كل ما يقوم به الفتى أثناء رعيه للقطيع. وقد لحقت الفتاة بأخيها غير الشقيق وراقبته عن كثب، وعادت إلى أمها وقالت: «ما رأيته اليوم، يا أمي، يتجاوز حدود المعقول».

«هل التقيت ساحرة الغابة؟».

أجابت الفتاة: «لا، خمني شيئاً آخر».

«هل رأيت عرافاً أو تنيناً أو طائراً خرافياً؟».

«لا شيء من هذا كله».

«هل لحق بك شاب وسيم وغني؟».

«ما هذه الفكرة السخيفة؟ ولكن لا جدوى من التمحيص والتفكير، لن تخمني ما رأيته».

«أخبريني بما رأيته، وكفي عن الثرثرة».

«إن ثور أخي غير الشقيق مسحور».

Twitter: @ketab_n

«ألم أقل إن ثمة شيئاً غامضاً في ذلك الحيوان الملعون».

«لو رأيته يا أمي كيف يحتضن الثور ويقبله من خده الأيمن تارة، ومن خده الأيسر تارة أخرى. شعرت كأن قلبي يكاد أن يتوقف عن الخفقان. إذ ما إن أمسك أخي بقرن الثور حتى خرج الكعك الأبيض وكأساً من العصير. أؤكد لك يا أمي، أن لعابي سال عندما رأيته يأكل بشهية ومتعة. لكن أكثر ما أدهشني هو سماعي لكلام الثور».

«لا بأس، سأتخلص منه».

في تلك الليلة، تظاهرت زوجة الأب بكرهها الشديد للثور، وحثت زوجها على ذبحه، آجلاً أم عاجلاً.

واصلت إلحاحها طوال الليل. لكن العجوز المسكين أخبرها أن الثور ليس ملكاً له بل لابنه، وأنه يعتبره حيواناً مفيداً. ولم تيأس المرأة الحقودة، وتابعت إلحاحها إلى أن وعدها زوجها بأن يذبح الثور صباح اليوم التالي. ولحسن حظه، كان الفتى يقظاً وسمع كل شيء. وما إن سطعت الشمس، حتى ذهب إلى تيليرشين ليطعمه وينظفه كعادته في كل صباح. لكن الفتى بكى وأخبر الثور بما ينتظره.

Twitter: @ketab_n

طلب تيليرشين من الفتى أن ينتظره عند باب البيت، وأن يقفز بسرعة فوق ظهره حينما يمسك به والد الفتى من أجل سوقه إلى المسلخ. وهذا ما حصل، وبعد أن تمكن من الهرب، حمل الثور الفتى إلى غابة أجمل من أي مكان رآه من قبل.

هناك، بنى الفتى بمساعدة الثور كوخاً وعاشا كأنهما في حديقة غنّاء، حيث أحاطت بهما الأشجار الباسقة، والأزهار والثمار اليانعة.

ذات يوم، وبينما جلس الفتى باسترخاء أمام كوخه، يعزف على قيثارته، والثور يرعى على مسافة قريبة، قدم ثور هائج يكاد جلده أن يتمزق من فرط بدانته.

قال الثور: «أيها الشاب، لماذا أتيت إلى هذا المكان، مع ثورك تيليرشين الذي أخذ يشرب من مائي ويقاسمني حشائشي؟».

أجاب الفتى: «لم أعرف أن المنطقة ملك لك، لقد حملني تيليرشين إلى هذا المكان».

قال الثور: «اطلب منه أن يأتي يوم غد إلى موقع الجسر الذهبي، كي يتصارع معي». وبعد أن أبلغه الرسالة، مضى الثور الهائج بعيداً.

Twitter: @ketab_n

ولدى عودة تيليرشين إلى الكوخ في تلك الليلة، وجد الفتى أكثر حزناً من أي وقت مضى.

سأل الثور: «ما الذي يشغل فكرك يا سيدي؟ أراك جالساً كأنك مخدر».

أجاب الفتى: «تسألني عما يشغل بالي، وكيف أكون هادئاً بعدما جرى صباح اليوم». ثم كرر على مسمعه ما قاله الثور الهائج.

«لا بأس، يا سيدي. لا داعي للقلق، سأعالج الأمر بنفسي».

وفي وقت مبكر من صباح اليوم التالي، خرج الثور من الكوخ وانطلق نحو الجسر الذهبي كي يتصارع مع الثور الهائج.

قاتل تيليرشين إلى أن تغلب على الثور الآخر ورمى به تحت الجسر الذهبي. ثم عاد إلى الكوخ بأمان وسكينة.

وبعد يومين، جاء ثور آخر، أصغر قليلاً من الثور الأول. وبعد أن كرر ما قاله الثور الأكبر حجماً، طلب ملاقاة تيليرشين عند الجسر الفضي لمصارعته. ومن جديد وجد تيليرشين سيده يبكي، فواساه كما فعل من قبل، ومضى كي يقاتل الثور الثاني، وليقضي عليه برميه تحت الجسر.

Twitter: @ketab_n

ومضت بضعة أيام هادئة إلى أن حضر ثور ثالث، وكان ضعيف البنية، بشعاً وقذراً، وقال للفتى: «من أعطاك الإذن بأن تأتي مع تيليرشين لشرب مائي وتلويث حشائشي؟».

أجاب الفتى: «وما شأنك بذلك؟».

قال الثور: «أنا مالك المنطقة، من يجرؤ منكما على مصارعتي فليأت يوم غد إلى الجسر البرونزي».

أجاب الفتى بلا مبالاة: «لا تقلق، سأتي».

حين عودة تيليرشين من المرعى في المساء، أخبره سيده بفرح وسرور عما جرى.

أجاب الثور: «لا داعي للفرح، فقد حانت ساعتي، إن الثور المريض ضعيف البنية سيهزمني. راقب قتالنا غداً، ولن أسمح لك بمصارعته، لأنك ما زلت شاباً وقوياً وينتظرك مستقبل واعد. وعندما ترى أنه سيهزمني وسيرمي بي تحت الجسر، أسرع وانتزع قرني الأيسر. لكن لا تفتح القرن قبل وصولك إلى الكوخ».

بعد أن سمع الفتى ما قاله تيليرشين، أخذ في البكاء طوال الليل ولم يغمض له جفن.

Twitter: @ketab_n

وفي وقت مبكر من صباح اليوم التالي، مضى بصحبة تيليرشين نحو الجسر البرونزي. حيث كان الثور المريض البشع بانتظارهما.

ونشبت معركة استمرت حتى المساء، حيث أوشك تيليرشين، أكثر من مرة، أن يتغلب على الثور، وفي أوقات أخرى أوشك الثور على طرحه أرضاً.

لكن قبل غروب الشمس بقليل، أصاب التعب تيليرشين. وعندما حمله الثور وأوشك على رميه تحت الجسر، اندفع الفتى واقتلع قرنه الأيسر.

ثم جلس الفتى بجانب الجسر وأخذ يبكي بحرقة شديدة. وعندما أيقن أن تيليرشين لن ينهض لمقاومة الثور من جديد، وعمّ الظلام المكان، عاد حاملاً القرن وقلبه ينزف من شدة الحزن.

أمضى الفتى تلك الليلة فوق هضبة. وفي اليوم التالي شعر بجوع شديد، وحسب أنه سيجد ما يسد رمقه داخل القرن الذي تركه له تيريشين، فقام بفتحه.

ترى ماذا رأى أمامه؟ خرجت من القرن أعداد لا تحصى من شتى أنواع الماشية. ترى كيف سيقودها إلى بيته؟

Twitter: @ketab_n

وأدرك استحالة إعادة القطيع مرة ثانية إلى قرن تيليرشين. وأخذ يبكي وينوح. وبينما هو على تلك الحالة، برز أمامه تنين وقال: «ماذا تعطيني إن أعدت جميع هذه الحيوانات إلى مكانها داخل القرن؟».

أجاب الفتى: «أعطيك نصفها».

قال التنين: «لا أرغب بذلك، أريد شيئاً آخر».

«قل لي ماذا تريد، وسأعطيك إياه».

«عندما تكون في احتفال بهيج، ستعطيني أغلى ما عندك كي ألتهمه».

وافق الفتى دون أن يدرك مخاطر وعده. حرّك التنين ذيله ثلاث مرات، ثم أدخل القطيع مرة ثانية إلى القرن، حيث حمله الفتى وذهب إلى أبيه، فوجده وحيداً. ولم يعرف ما جرى للعجوز وابنتها. فقد اختفتا من المنزل.

عندما رأى الفلاح ابنه وقد أصبح شاباً وسيماً كاد أن يطير من الفرح. لكنه سيطر على مشاعره وجلس هادئاً. وفتح ابنه القرن، فامتلأت الحقول والبراري بقطعان من الماشية أذهلت كل من رآها.

Twitter: @ketab_n

سأل العجوز: «هل جميع هذه القطعان ملك لك، يا بني؟».

«نعم يا أبي. كيف ستتصرف بهذا العدد الهائل من الحيوانات؟».

أجاب العجوز: «قم بمواساة الأرامل والفقراء، وساعدهم يا بني».

اتبع الفتى نصيحة أبيه. ولم يمر يوم واحد دون أن يقدم المساعدة للمحتاجين والفقراء. وهكذا لم يبق فقير واحد في القرى والبلدات القريبة من بيت الفتى.

وقد وصلت إلى القصر الملكي معلومات حول ذلك الفتى المحب لأعمال الخير. وكان للإمبراطور ابنة فائقة الذكاء والجمال، وقد أرسل في طلب الفتى كي يأتي لطلب يد ابنته.

دُهش الفتى عندما علم أن الإمبراطور يريد تزويجه ابنته. وعند استدعائه إلى القصر الملكي، تصرف بحكمة وكبرياء وتعقل. فسُرّ الإمبراطور منه، ولم يندم لأنه قرر مصاهرته. وقد أحبته الأميرة لأنه كان شاباً رومانياً، وسيماً وكريماً وذكياً.

Twitter: @ketab_n

وبعد اتفاق الإمبراطور والفتى، أقيم حفل عرس وصلت شهرته مختلف أصقاع العالم. وقد حضر الحفل والد الفتى أيضاً.

وبعد انتهاء حفل العرس، وعودة الراقصين والمدعوين إلى بيوتهم، وضع والد العريس، كما تقضي عادة قديمة، رغيف خبز داخل غرفة نوم العروسين. ثم ذهب إلى غرفته.

لكن وجد العريس وجد أمامه مفاجأة من نوع آخر. إذ ما كاد يدخل على عروسه حتى برز أمامه تنين قال للفتى إنه حضر لتسوية حساب قديم بينهما. وذكّر التنين الفتى أنه تعهد ذات يوم بالتخلي عن أغلى ما يملك، وهي عروسه في تلك الحالة، والتي يحبها كأنها قرة عينه.

وإذ نسي العريس ذلك الاتفاق، حار في أمره. ولم يجرؤ على مهاجمة التنين وقتله، لأنه تذكر الصفقة القديمة، وخاصة أن أباه علمه أن الرجل الصادق يفي بالوعد. لكن قلبه لم يسمح له بالتخلي عن عروسه، وإعطائها للتنين كي يلتهمها.

وبينما أمعن في التفكير للبحث عن حل يعفيه من التخلي عن الأميرة دون أن ينكث بوعده، قفز رغيف الخبز من مكانه فوق الطاولة وقال: «مرحباً أيها التنين. زرعني الفلاح في الأرض،

Twitter: @ketab_n

فكبرت حتى حصدني ووضعني في حزمة كبيرة، وتحملت وصبرت. ألا تصبر أيضاً وتذهب إلى أعماق البحار؟».

وقف التنين منصتاً.

وتابع رغيف الخبز قوله: «وبعد ذلك، حملوني إلى مخزن الحبوب وداستني حوافر الخيل وتألمت كثيراً. ثم نقلوني إلى المطحنة. اصبر على آلامك كما صبرت وامض في طريقك، وابتعد كي لا نسمع باسمك ثانية».

بقي التنين في مكانه، وقد أخرج من فمه لساناً من نار. وحافظ صهر الإمبراطور وعروسه على هدوئهما.

وتابع رغيف الخبز كلامه: «ثم طُحنت وأُخذت إلى بيوت الناس. هناك نخلتني النساء، ومزجنني بالماء، وقمن بعجني ثم أدخلنني الفرن، وخبزنني حتى كادت أن تخرج عيناي من رأسي. لكن، تحملت وصبرت. ألا تصبر أيضاً أيها التنين الملعون؟».

وعلى حين غرة، سُمع في أركان القصر صوت انفجار قوي هزّ الأرض من تحت أقدام ساكنيه الذين استيقظوا، وهرعوا لمعرفة ما جرى.

Twitter: @ketab_n

ترى ماذا رأى سكان القصر؟

لقد انفجر التنين إلى أشلاء، فدبّ الرعب في نفوسهم.

فيما بعد، حمل الرجال جثة التنين، وأخرجوها من القصر ورموا بها إلى الصقور والجوارح. ثم شرح صهر الإمبراطور أسباب ما جرى، وسرد قصته بأكملها. ولدى سماع سكان القصر الحكاية، شكروا الله لأنه أنقذهم من التنين.

عاش الفتى مع عروسه الأميرة حياة سعيدة مديدة، ولم ينس الفقراء والمحتاجين، بل واصل مساعدتهم والتصدق عليهم بلا منّة ولا رياء.

Twitter: @ketab_n

نبع الفجر السعيد

يُحكى عن ملك عظيم قوي، حكم ذات يوم مملكة مترامية الأطراف، لا يعرف أولها من آخرها، وحسب بعض الناس أنه لا حدود لتلك المملكة. وقال آخرون إنهم سمعوا من أجدادهم أن الملك خاض حروباً مع زعماء المناطق المجاورة، وكان بعضهم أقوى وأشد عزماً منه، وهزم آخرون أمام سطوته وجبروته.

وسرت بين الناس أجمعين طرفة تقول إن ذلك الملك يضحك بعينه اليمنى ويبكي باليسرى. ولم يجدوا تفسيراً لتلك الظاهرة، واختلفوا فيما بينهم. وعندما كان أبطال عظماء يسألون الملك عن تلك الحالة، كان يبتسم بهدوء ويمتنع عن الإجابة. وهكذا بقي الاختلاف حول عيني الملك أمراً غامضاً عصياً على الفهم، إلا للملك نفسه.

مرت أيام وأيام، وكبر أبناء الملك الثلاثة، وأصبحوا أمراء أقوياء أشداء كرماء يشار إليهم بالبنان. وقد شبههم أحد الحكماء بثلاثة نجوم ساطعة في مكان واحد.

Twitter: @ketab_n

وكان أكبرهم، وهو فلوريا، طويل القامة عريض المنكبين. بينما كان كوستان، وهو الأمير الأوسط، مختلفاً عنه تماماً. اتسم كوستان بقصر القامة وقوة البنية، وبذراعين ضخمين وقبضة شديدة. أما الأمير الصغير، واسمه بيترو، فقد كان طويلاً نحيلاً، أكثر شبهاً بفتاة منه إلى فتى.

ولم يكن من عادة بيترو اللجوء إلى الكلام، بل فضل الغناء والضحك والمرح طوال الوقت. ولم يره أحد قط كئيباً إلا عند اضطراره إلى رفع خصلات شعره عن جبينه، من أجل الظهور في هيئة الرجال عند اجتماع مستشاري الملك.

ذات صباح، قال بيترو لأخيه فلوريا: «لقد كبرت يا أخي وأصبحت أميراً مهاب الجانب. هيا اذهب لأبينا واسأله لماذا تبكي دوماً إحدى عينيه وتضحك الأخرى».

لكن فلوريا رفض ذلك، لأنه عرف بالتجربة أن الملك يغضب غضباً شديداً عندما يطرح عليه ذلك السؤال.

وتلقى بيترو الإجابة ذاتها عندما قصد أخاه كوستان، وأخيراً قال: «حسناً، إن لم يجرؤ أحد على طرح هذا السؤال، فسأطرحه بنفسي».

Twitter: @ketab_n

وعلى الفور قصد الأمير الصغير غرفة أبيه وسأله، فأجاب الملك بغضب: «لا شأن لك بذلك».

وصفع بيترو على خده الأيمن، وأتبعها بصفعة ثانية على خده الأيسر. وانصرف بيترو نادماً، ووصف لأخويه رد فعل أبيه الغاضب.

لكن بعد استفسار الأمير الشاب عما أصاب عيني الملك، بدا كأن بكاء العين اليسرى أصبح أقل من ذي قبل، في حين ارتفعت وتيرة ضحك العين اليمنى.

فيما بعد استجمع بيترو شجاعته وقصد الملك من جديد. وما إن تجرأ على طرح السؤال، حتى تلقى الإجابة نفسها والعقاب القاسي. لكن منذ تلك اللحظة ما عادت العين اليسرى تبكي إلا قليلاً، وبدت العين اليمنى أصغر سناً وأكثر لمعاناً بأضعاف المرات.

وقال بيترو في سره: «إن سارت الأمور على هذا النحو، صرت على علم بما يفترض بي عمله. سأكرر زيارة أبي، وسألح في السؤال، ولن تثنيني الصفعات الأليمة عن تحقيق هدفي. لن يهنأ لي عيش حتى تضحك كلتا العينين».

Twitter: @ketab_n

ولم يمض وقت طويل، حتى تحقق لبيترو ما أراد. قال له الملك، بصوت رقيق، هذه المرة، وبعينين ضاحكتين: «يا ولدي العزيز، بيترو، أيقنت أنك غير قادر على تجاهل ما أصاب عيني، ولذا سأخبرك بحقيقة الأمر. اعلم، يا بني، أن هذه العين تضحك عندما أجد أمامي ثلاثة أبناء أصحاء مثلكم، ولكن العين الأخرى تبكي عندما ينتابني خوف من احتمال فشلكم في حكم هذه المملكة الواسعة، وأن تعجزوا عن صدّ الأعداء عن أراضيها. وإن جلبتم لي ماء من نبع الفجر السعيد كي أغسل به عيني، فستضحك كلتاهما، لأني، آنذاك، سأوقن بأني رزقت بأبناء نجباء أقوياء يعتمد عليهم».

ما إن أنهى الملك كلامه، حتى حمل الأمير الصغير قبعته، وذهب إلى أخويه لينقل لهما ما سمعه. تشاور الأمراء فيما بينهم، وسرعان ما اتفقوا على أمر، كما يجري عادة بين الإخوة المتحابين.

اتجه، فلوريا، بوصفه أكبرهم، إلى الإصطبلات الملكية، واختار أفضل الجياد وأقواها، وامتطاه بعد أن ودع الجميع.

قبل رحيله قال لأخويه: «سأقصد نبع الفجر السعيد، وإن لم أرجع بعد عام، أو شهر، أو أسبوع، أو يوم، حاملاً قدراً من ماء ذلك النبع، الحق بي يا كوستان».

Twitter: @ketab_n

لم يتوقف فلوريا، ولم يترجل عن جواده لمدة ثلاثة أيام بلياليها. وقد طار حصانه كالشبح فوق جبال ووديان إلى أن وصل إلى آخر نقطة في المملكة، حيث جرى حول أراضيها خليج عميق المياه، وعند قاع الخليج وجد جسراً وحيداً. هناك، توقف فلوريا كي يودع وطنه.

وما إن عزم على مواصلة الرحلة وقطع الجسر، حتى ظهر له تنين ذو ثلاثة رؤوس ووجوه قبيحة وفك مفتوح، طرفه في السماء والآخر في الأرض.

لم يتوقف فلوريا لئلا يغرقه التنين بلهبه، بل نهز جواده، وغاب عن الأنظار، وكأنه لم يكن له وجود.

وتنهّد التنين واختفى دون أن يترك أثراً وراءه.

ومرّ أسبوع، ولم يرجع فلوريا. ومضى أسبوعان ولم يُسمع عنه شيء. ومضى شهر، وأخذ كوستان في البحث عن جواد قوي.

وبعد مرور عام كامل، امتطى كوستان حصانه، وودع أخاه الأصغر قائلاً: «إن لم أعد بعد مدة محددة، الحق بي».

Twitter: @ketab_n

وعند وصول كوستان إلى الجسر، برز له ذلك التنين لكنه كان أكثر شراسة، كما كانت رؤوسه أشد قبحاً وضخامة. ونجح البطل في الهروب بأقصى قوته. ومنذ ذلك اليوم، لم يسمع شيء عن الأخوين. وبقي بيترو وحيداً.

ذات يوم قال لأبيه: «سألحق بأخويّ».

أجاب الملك: «فليباركك الله، وهو العليم إن كان حظك أفضل من حظ أخويك».

ودع الأمير الصغير أباه، وانطلق في رحلة طويلة متتبعاً خطى أخويه. وعند الجسر انتظره تنين أكبر حجماً وأشد إثارة للرعب، وكان له فكان أكثر اتساعاً وقذفاً للهب. كما كان له سبعة رؤوس، وليس ثلاثة وحسب.

توقف بيترو عندما رأى ذلك الوحش وصاح به: «أغرب عن وجهي». ولكن التنين لم يتحرك.

وكرر بيترو صياحه مرتين وثلاثاً، ثم اندفع رافعاً سيفه. فجأة اسودت السماء فاختفى كل شيء من أمامه سوى نار تتقد عن يمينه وعن شماله، ومن أمامه، ومن خلفه.

Twitter: @ketab_n

وأخذ التنين في قذف اللهب من رؤوسه السبعة، وصهل الجواد وتراجع إلى الخلف، فلم يعد الأمير البطل قادراً على الضرب بسيفه.

وعندما وجد بيترو استحالة تسديد ضربات سيفه وهو على صهوة جواده، ترجل وأمسك باللجام في يده اليسرى، وبالسيف في اليد اليمنى.

لكن تلك الخطة لم تفلح، ولم ير الأمير أمامه شيئاً سوى النار والدخان.

وقال في سره: «سأعود إلى القصر كي أستبدل هذا الجواد بآخر أفضل منه». ومضى بعيداً كي يرجع مرة ثانية.

وعند وصوله إلى القصر، كانت مربيته، وهي العجوز بيرشا، بانتظاره عند البوابة.

قالت: «بنيّ بيترو، عرفت أنك ستضطر إلى العودة، لأنك لم تعد العدة اللازمة للرحلة».

سأل بيترو وهو نصف غاضب ونصف حزين: «وما هي العدة اللازمة للرحلة؟».

Twitter: @ketab_n

قالت المربية العجوز: «لن تستطيع الوصول إلى نبع الفجر السعيد ما لم تركب الحصان الذي قاده أبوك الملك في شبابه. امض وابحث عن الحصان ثم امتطه بنفسك».

شكر بيترو المربية لتزويده بتلك المعلومات المفيدة، ثم خرج للبحث عن ذلك الحصان.

سأل الملك: «من ذكر لك الحصان؟ ومن طلب منك الاستفسار عن مكانه؟ لابد من أن الساحرة بيرشا تقف وراء هذا الأمر. هل جننت؟ ركبت ذلك الحصان عندما كنت شاباً قبل خمسين عاماً. ومن يدري أين تكمن عظامه حالياً؟ ولم يتبق من آثاره سوى شريط وحيد من اللجام، وقد تجده مرمياً على أرضية الإصطبل».

خرج بيترو من غرفة أبيه غاضباً، ونقل للمربية العجوز القصة بأكملها.

قالت العجوز ضاحكة: «إن كانت الأمور ستسير على هذا النحو، فلا تيأس. اجلب لي القطعة المتبقية من اللجام وسأعرف كيف أحولها إلى شيء ما».

Twitter: @ketab_n

عند دخول بيترو إلى الإصطبل القديم، وجد عدداً كبيراً من السروج واللجام والحبال. وقد انتقى أكثر تلك القطع اهتراءً وقدماً، وأشدها سواداً وتشبعاً بالصدأ. ثم حمل تلك القطعة إلى المربية العجوز.

أخذت المربية ما تبقى من اللجام القديم وعطرته بالبخور، وتمتمت بشيء من السحر، ثم قالت لبيترو: «الآن خذ اللجام، واضرب بواسطته أعمدة[1] البيت».

نفذ بيترو ما طُلب منه. وقد أثمر مفعول سحر تلك المربية العجوز. إذ ما كاد يضرب بسوطه الأعمدة حتى حدث ما أذهله. فقد وقف أمامه حصان لم ير العالم أجمل منه.

صُنع سرج الحصان من الذهب والأحجار الكريمة، والتمع لجامه لمعاناً شديداً لدرجة أنه لم يجرؤ أحد على النظر إليه خشية أن يصاب بالعمى. كان، في حقيقة الأمر، حصاناً جميلاً ذا سرج جميل ولجام أجمل، أهلٌ لأن يمتطيه أمير وسيم.

صاحت العجوز: «اقفز على ظهر الحصان، يا بطلي الصغير». ثم رددت كلمات من السحر، وبعد ذلك دخلت إلى القصر.

(1) يوجد عادة في مقدمة بيوت الفلاحين الرومانيين مجموعة من الأعمدة لدعم السطح الشرفات البارزة (م).

Twitter: @ketab_n

وعند ركوب الحصان، شعر بيترو بأن ذراعه أصبحت أقوى أضعاف ما كانت عليه قبل قليل، وأن شجاعته تضاعفت عشرات المرات.

قال الحصان: «تشبّث بي جيداً، يا سيدي، لأن رحلتنا طويلة ويجب أن نمضي بسرعة».

وسرعان ما وجد الأمير البطل أن الحصان قفز وواصل قفزه كما لم يقفز حصان قط.

عند الجسر الذي اعترض سبيل أخويه، وقف تنين لا مثيل له. فقد حمل ذلك التنين اثنا عشر رأساً، وكل رأس أكثر إثارة للرعب وقذفاً للهب من باقي الرؤوس. لكن الوحش وجد أمامه ندّاً لا يبارى. ولم يتردد بيترو، بل شمّر عن ساعديه، وصفق بيديه وصاح: «أغرب عن وجهي».

وأخذ التنين في قذف اللهب. ولم يضيّع بيترو وقتاً في الكلام، بل استل سيفه، واستعد للاندفاع نحو الجسر.

حينئذ، خاطبه الحصان قائلاً: «اهدأ قليلاً يا سيدي، وتصرف كما أشير عليك. اضغط بالمهمازين على خاصرتي، واستلّ سيفك، وكن جاهزاً، لأننا سنقفز فوق الجسر والتنين معاً.

Twitter: @ketab_n

وعندما ترى أننا أصبحنا فوق الوحش تماماً، اقطع رأسه وامسح بواسطة كمك الدم المسال على السيف. ثم أرجع السيف إلى غمده كي تكون جاهزاً للقتال عندما نلمس الأرض من جديد».

نفذ بيترو تعليمات الحصان، واستل سيفه وقطع رأس التنين، ومسح السيف، وأعاده إلى غمده. وهكذا عبر مع حصانه الجسر.

وبعد أن ألقى نظرة أخرى على أرض بلاده، قال بيترو: «يجب أن ننطلق بسرعة».

أجاب الحصان: «إلى الأمام يا سيدي. لكن، قبل كل شيء، أخبرني عن معدل السرعة المطلوبة. هل تريد أن نعدو بسرعة الرياح؟ أم وفق سرعة الأفكار؟ أم وفقاً لشدة الشوق والحنين؟».

نظر بيترو أمامه فلم ير سوى سماء وتراباً، أي صحراء مترامية الأطراف، فشعر برعب هائل.

«سنعمل على قطع رحلتنا بسرعات مختلفة، لن نسير بسرعة كبيرة كي لا يصيبنا الإرهاق والتعب، ولن نبطئ لئلا نتأخر».

Twitter: @ketab_n

وهكذا تابعا الرحلة، سارا في اليوم الأول بسرعة الرياح، وفي اليوم الثاني بسرعة الفكرة، وفي اليوم الثالث بسرعة الشوق والحنين. وفي فجر اليوم الرابع، وصلا إلى آخر نقطة في تلك المنطقة المقفرة.

دعك بيترو عينيه كمن استيقظ من نوم طويل، أو كشخص رأى شيئاً كالسراب، وقال للحصان: «قف الآن، ثم أكمل الرحلة كمن يمشي ببطء، وسأتفرج على ما لم تره عيناي قط».

امتدت أمام ناظري الأمير غابة نحاسية، أي أن الأشجار والأغصان والأوراق والأزهار والثمار، من مختلف الأشكال والألوان، صيغت جميعها من النحاس.

وقف بيترو يتأمل المكان، وهو مذهول لأنه لم ير شيئاً كهذا ولم يسمع به قط. ثم قاد حصانه عبر الغابة. وعلى الطريق سمع نباتات تمتدح حسنها، وتدعو بيترو لجمعها لصنع إكليل من الأزهار.

قالت زهرة: «اقطفني، أنا جميلة، وأمدّ من يأخذني بالقوة والعزيمة».

Twitter: @ketab_n

وقالت أخرى: «لا، خذني أنا، لأن من يزين قبعته بي، يحظى بإعجاب أجمل حسناوات العالم». ونادته زهرة ثالثة ورابعة، وكل منها أجمل من رفيقاتها، وقد توددن إليه، وأسمعنه أجمل الألحان من أجل إقناعه بجمعهن.

وقد ابتعد الحصان جانباً، عندما رأى سيده ينحني نحو زهرة.

صاح به بيترو بحنق: «لماذا لا تهدأ قليلاً؟»..

أجاب الحصان: «لا تقطف أي زهرة. ستندم إن جمعتها».

«ولماذا سأندم؟».

«أصابت هذه الأزهار لعنة، فمن يقطفها ويجمعها سيواجه ويلوا[1] الغابات. والآن دعني لشأني. لكن احذر من الاقتراب من هذه الأزهار. انظر إليها وحسب».

وبعد أن قدم تلك النصائح، أخذ الحصان يمشي بعيداً. وقد تعلم بيترو بحكم التجربة، أنه من الأفضل له اتباع نصائح الحصان. لذا تجاهل الأزهار، ونظر في جهة أخرى. لكن محاولات تجاهل الأزهار ذهبت أدراج الرياح. فإن كان أحدهم سيء الطالع، لا

(1) ويلوا: وحش يفوق الوصف يقبع في مخيلة الفلاحين القدماء في رومانيا (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

يستطيع التهرب من سوء حظه مهما بذل من جهود. بالفعل، واصلت الأزهار التودد إليه إلى أن لان قلبه ومال إليها.

وبعد تردد قال لنفسه: «أياً يكن، سألتقي على الأقل ويلوا الغابات، وسأرى شكل ذلك الوحش كي أعرف مع من سأتعامل، وإن قدر لي أن أموت على يده، فإنه سيقتلني بطريقة ما، وإن قدرت لي النجاة، فسأهرب، ولو وجِد المئات بل الآلاف من أمثاله». ثم باشر في قطف الأزهار.

قال الحصان بقلق شديد: «ارتكبت خطأً فادحاً، لكن بما أن ما وقع قد وقع، فلا يمكن تغييره. لذا استعد للقتال، لأن ويلوا بانتظارك».

ما إن انتهى الحصان من كلامه، ووضع بيترو الإكليل جانباً، حتى هبت نسمات من جميع الجهات، سرعان ما تحولت إلى عاصفة. واشتدت العاصفة حتى غاب كل شيء عن الأنظار، باستثناء ظلام دامس عمّ المكان. وقد اهتزت الأرض تحت قدمي بيترو حتى شعر كأن شخصاً ما قد حمل العالم فوق ظهره وجرى به بسرعة فائقة.

سأله الحصان، وهو يلوي عنقه: «أأنت خائف؟».

Twitter: @ketab_n

رغم شعوره بخوف ورعب شديدين، استجمع بيترو شجاعته وقال: «لا، لست خائفاً على الإطلاق، إن كان لشيء أن يصيبني، فلا مهرب منه».

وبهدف تشجيعه، قال الحصان: «لا داعي للخوف. خذ اللجام المحيط بعنقي، وحاول إمساك ويلوا بواسطته».

بعدما نطق الحصان تلك الكلمات، لم تتح لبيترو فرصة لفك اللجام جيداً، حتى ظهر ويلوا أمامه. رأى بيترو وحشاً كاسراً مخيفاً خشي من النظر إليه. لم يكن للوحش رأس ولا جناحان يساعدانه على الطيران، ومع ذلك فهو لا يمشي على الأرض.

وكان لذلك الوحش شعر عنق كالحصان وقرنا غزال ووجه دب، وعينا ابن عرس. وجسد يشبه أي شيء سوى الكائن البشري. تلك كانت أوصاف ويلوا الذي اندفع نحو بيترو.

نهض بيترو وأخذ في الضرب، حيناً بسيفه، وحيناً آخر بذراعه، إلى أن سال عرقه نحو الجداول. ومر يوم وليلة ولم تحسم المعركة.

قال ويلوا لاهثاً: «توقف، كي تنل قسطاً من الراحة». فأسقط البطل سيفه من يده.

Twitter: @ketab_n

صاح الحصان بسرعة: «لا تتوقف».

وسارع بيترو لمواصلة القتال بأقصى قوته. وفي ذلك الوقت، صهل ويلوا مرة كالحصان، ثم عوى كالذئب، واندفع من جديد نحو بيترو.

واستؤنفت المعركة ليوم وليلة ثانية، وكانت أشد عنفاً من سابقتها. وقد أصاب بيترو الإعياء حتى كاد أن يفقد وعيه.

للمرة الثانية، قال ويلوا: «توقف الآن. أرى أمامي مقاتلاً قوياً لا تلين عزيمته. توقف لنسوي خلافنا».

صاح الحصان: «لا تتوقف».

تابع بيترو القتال، ورغم تراجع قوته، صمم على مواصلة المعركة.

لكن ويلوا لم يعد قادراً على مهاجمته بشراسة، وبدأ يتصرف بشيء من الحذر والترقب، كما يفعل المقاتلون عندما يشعرون بتراخي أجسادهم. وهكذا استمرت المعركة حتى فجر اليوم الثالث. وعندما لاح نور الصباح الوردي، رمى بيترو اللجام فوق رأس ويلوا المتعب، فتحول فجأة إلى حصان، لا يوجد أجمل منه في العالم أجمع.

Twitter: @ketab_n

قال ويلوا المتحول: «أسعدك الله وبارك فيك، لقد خلصتني من السحر»، وأخذ في معانقة الحصان.

وعلم بيترو من خلال حديثهما، أن ويلوا كان أخاً لحصانه قبل أن يتعرض للسحر قبل عدة سنين.

ربط بيترو ويلوا بحصانه، ثم قفز إلى صهوته وتابع رحلته، وقاد حصانه بسرعة بالغة إلى أن خرج من الغابة النحاسية. وامتدت أمامه غابة أكثر جمالاً وروعة. فقد دخل غابة حافلة بالأغصان والأشجار اللامعة التي حملت أكثر الأزهار إغراء.

دخل إلى الغابة الفضية، وأخذت براعم الأزهار في مخاطبته برقة ودلال يفوق ما أظهرته أزهار الغابة البرونزية.

قال ويلوا: «لا تجمع مزيداً من الأزهار، لأن أخي أقوى مني بسبع مرات».

لكن هل يستطيع بيترو، وهو البطل غير الهياب أن يكبح جماح نفسه؟ لم تكد تمضي دقيقتان، حتى أخذ يقطف الأزهار ويشكل منها إكليلاً جميلاً.

Twitter: @ketab_n

وهبت عاصفة أشد من سابقتها، وساد ظلام أكثر حلكة، واهتزت الأرض بأقوى مما جرى في الغابة البرونزية. وقد اندفع ويلوا الغابة الفضية نحو بيترو بقوة تبلغ سبعة أضعاف قوة وشراسة ويلوا السابق. لكن البطل المغوار لم يكن ضعيف الإرادة ولا البنية، ودامت المعركة الثانية لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليال. وعند فجر اليوم الرابع، رمى بطلنا اللجام على رأس ويلوا الثاني.

قال ويلوا: «أسعد الله أيامك، لقد خلصتني من السحر».

وتابعوا رحلتهم على الدرب الذي جاؤوا منه.

للمرة الثالثة، قال بيترو لحصانه: «قف في مكانك، وامش الهوينى، ودعني أتأمل جمالاً لم تره عيني من قبل». ثم غطى عينيه خشية أن يصاب بالعمى بفعل الأشعة المنبثقة من الغابة الذهبية. وقد رأى وشاهد أشياء رائعة، لكنه لم يحلم قط بمشاهدة أشياء من ذلك النوع.

صاحت الجياد الثلاثة في وقت واحد: «يجب أن نتوقف في هذا المكان، وإلا سنواجه ما لا تُحمد عقباه».

سأل بيترو: «وما الذي سنواجهه؟».

Twitter: @ketab_n

قال حصانه: «ستقطف الأزهار مجدداً. أعرف أن قلبك لن يرتاح ما لم تقطفها وتضفرها في إكليل جميل. وإن أخانا الأصغر أشد بأساً بما يعادل سبعة أضعاف قوتنا مجتمعين، لذا دعنا نَسِر حول الغابة».

أجاب بيترو: «لا بالتأكيد. هيا نستطلع هذه الغابة. وبما أننا رأينا جزءاً منها، هيا نستكشف جميع أجزائها. أنا لا أخاف شيئاً».

لا حاجة للقول إن بيترو حقق نجاحاً كالذي حققه في المرتين السابقتين. لكن كيف تم له ذلك؟

ما إن جمع الأزهار في إكليل جميل، حتى حدث شيء لم يسمع به من قبل. هبّت عاصفة أشد وأعنف من أي عاصفة أخرى، وحل ظلام دامس، واهتزت الأرض بعنف لا قِبَل لإنسان بتحمله.

قال الحصان بغضب: «أما حذرتك؟ لماذا لا تركن إلى السكينة والهدوء؟».

أدرك بيترو أنه لم ير من قبل شيئاً من هذا القبيل، ولم يشعر بهكذا شعور، ووجد أنه لن يقدر على استيعاب حقيقة ما جرى،

Twitter: @ketab_n

ولذا لم يُجب، بل استل سيفه واستعد للقتال. وصاح: «سيأتي ويلوا الآن. سأموت أو أرمي اللجام على رأسه».

ما إن نطق تلك الكلمات، حتى برز له شيء لم ير مثيلاً له من قبل، واقترب منه. وقد أحاط بالأمير بيترو ضباب شديد الكثافة لدرجة أنه حجب عنه ظله.

صاح البطل: «ما هذا؟». وذُهل إلى حد ما، خاصة عندما شعر بآلام في جميع أعضائه، وقد ازداد قلقه عندما أدرك أن الضباب حجب عنه صوته أيضاً. ولذا أخذ يضرب بسيفه يمنة ويسرة، وإلى الأمام وإلى الخلف.

سدد بسيفه ضربات في شتى الاتجاهات. وتصرف كرجل شجاع لا يجد بدّاً من القتال بحماسة وجرأة. وقد واصل القتال طوال نهار وليلة دون أن يرى شيئاً سوى ظلام دامس، ولا يسمع إلا صوت قطرات عرقه وهي تسيل فوق كشحي الحصان.

وقد شعر بيترو لبعض الوقت أنه ما عاد حياً يرزق، بل إنه مات منذ وقت طويل. وعلى نحو مفاجئ، انقشع الضباب. وعند فجر اليوم التالي زال الضباب تماماً.

Twitter: @ketab_n

وعند شروق الشمس، رأت عينا بيترو الضوء من جديد. وشعر كأنه ولد من جديد. وبدا كأن ويلوا قد اختفى من الوجود.

لكن حصانه قال له: «استجمع قواك، لأن المعركة الفعلية توشك أن تبدأ بعد قليل».

سأل بيترو: «إذن ما الذي قاتلته؟».

أجاب الحصان: «ظهر ويلوا على شكل ضباب. استعد، إنه قادم إليك».

ما كاد الحصان يكمل جملته، وما كاد بيترو يأخذ أنفاسه، حتى رأى شيئاً يقترب منه، لكنه لم يعرف ماهية ذلك الشيء. إنه ماء، لكنه لا يشبه الماء لأنه لا يسيل على الأرض، بل يبدو في حالة غريبة. إنه يطير أو يتحرك بشكل غريب، ولا يترك وراءه أثراً، ولا يطير عالياً. كان شيئاً أشبه بالسراب.

صاح بيترو: «يا إلهي!».

قال الحصان: «لا تخف، وتشجّع كي تدافع عن نفسك. لا تثبت في مكان واحد»، ولم يستطع الحصان إكمال جملته، لأن الماء ملأ فمه.

Twitter: @ketab_n

ونشب القتال من جديد. وأخذ بيترو يضرب بسيفه دون هوادة لمدة يوم كامل، وهو لا يدري إلى أين يصوّب طعناته، ولا من يقاتل.

وعند بزوغ فجر اليوم التالي، شعر بأن قدميه قد شلّتا. وصاح بغضب: «لقد انتهيت».

لكن البطل استأنف القتال، وسدد بسيفه ضربات أشد وأقوى.

أشرقت الشمس، واختفى الماء، وكان من الصعب إيجاد تفسير واضح لتلك الظاهرة.

صاح الحصان: «استجمع قواك واستعد، لأن ويلوا يوشك أن يهاجمك من جديد».

لم يجب بيترو. فقد كان الأمير المسكين مرهقاً ولا يدري ماذا يفعل. لذا ثبت نفسه فوق السرج، وقبض على سيفه بشدة، وانتظر اقتراب العدو الهائج.

ولم يستطع بيترو رؤية ويلوا، بل شعر كأنه يرى في المنام كابوساً لا يستطيع تحمله.

Twitter: @ketab_n

لكن في ذلك الوقت شعر ويلوا بالخزي والعار، إذ كيف له أن يمتلك غابة ذهبية بعد أن غادرها، وعاد إليها مهزوماً مرتين. وقد سيطر على ويلوا اليأس والخزي، فطار بقدميه وسار بجناحيه. وبدا رأسه خلفه وذيله أمامه، وعيناه في صدره وجبهته تحمل صدره، وأما ما تبقى من جسده، فلا يستطيع أحد أن يصف ما حلّ به.

ارتعش بيترو من شدة الرعب، ثم ابتهل إلى الله، واستجمع قوته، وعاود القتال بشراسة وقوة كما لم يقاتل من قبل. ومرّ النهار، وخارت قوى بيترو. حلّ المساء وغلب النعاس على الأمير البطل. وعند انتصاف الليل شعر كأنه لم يعد موجوداً على ظهر جواده. وعندما حلّ الليل، انهار بيترو ولم يعد قادراً على الوقوف.

صاح الحصان بعدما أيقن أن سيده فقد حماسته: «انهض، استجمع قوتك من جديد».

مسح بيترو عرقه بكمه، ونهض بسرعة.

قال الحصان: «الآن اضرب ويلوا باللجام، سدد الضربة إلى فمه».

Twitter: @ketab_n

نفذ بيترو ما طُلب منه. وصهل ويلوا بصوت عال، حتى ظن بيترو أنه سيهزم حتماً.

ورغم أن ويلوا كان منهك القوى، اندفع مرة أخرى نحو البطل. ولم يطل القتال، حيث تمكن بيترو من رمي اللجام على فم الوحش الكاسر.

وعندما عمّ نور الصباح الكون، كان البطل يقود الحصان الرابع. وقال ويلوا «أتمنى أن تتزوج من فتاة جميلة، لأنك أنقذتني من السحر».

ثم واصلوا رحلتهم، وعندما خيّم الليل على النهار، وصلوا إلى حدود الغابة الذهبية.

واصلوا رحلتهم، لكن بيترو شعر بالسأم، وكي يسلي نفسه، أخذ في تفحص أكاليل الزهر. وسأل نفسه: «أين سأذهب بهذه الأكاليل؟ يكفيني أحدها، وسوف أحتفظ بأجملها».

ولذا رمى أولاً بالإكليل البرونزي، وأتبعه بالفضي، واحتفظ لنفسه بالإكليل الذهبي.

Twitter: @ketab_n

عندها قال حصانه: «توقف، لا تتخلص من الأكاليل. ترجّل والتقطها، فقد تنفعك في يوم ما».

نفذ بيترو ما طُلب منه. وبحلول المساء وقت غروب الشمس، وعندما بدأت الحشرات الصغيرة تحوم في الأجواء، وصل راكبنا إلى أطراف الغابة. وقد امتد أمامه مستنقع عريض خلا من أي شيء أو كائن بشري.

سأل بيترو: «ما هذا؟».

أجاب الحصان: «قد نواجه عقبات وصعوبات في هذا المكان».

«ولماذا تنتظرنا عقبات وصعوبات؟».

«سنقتحم بعد قليل مملكة الأربعاء المقدس. وكلما قطعنا شوطاً في هذه المنطقة، لن نجد سوى البرد القارس. لأن النار تشتعل دوماً على جانبي الطريق، أخشى أن تقترب منها لتدفئ جسدك».

«ولماذا لا أدفئ جسدي؟».

أجاب الحصان بقلق: «لأنك ستكون في مأزق كبير».

Twitter: @ketab_n

قال بيترو بلا خوف ولا وجل: «حسناً، إلى الأمام. لا مانع من التعرض للبرد».

كلما قطع بيترو شوطاً آخر في أراضي مملكة الأربعاء المقدس. وجد أن المكان مكروه وغير بهيج. ومع كل خطوة اشتد الهواء برودة وصقيعاً. وقد لف المكان البرد والثلج لدرجة تكفي لتجميد نخاع العظم داخل الجسد. لكن بيترو لم يكن جباناً، وأثبت أنه قادر على تحمل الصعوبات كحاله في ساحات القتال.

وعلى امتداد الطريق اشتعلت نار إثر أخرى، ووقف عدد كبير من الأشخاص نادوه بأرق الأسماء والأوصاف. وكاد أن يتجمد نَفَس بيترو، لكنه لم يستسلم، بل أمر جواده بمواصلة الرحلة.

ولا يعلم أحد كم من الوقت أمضى بيترو في مقاومة البرد والصقيع، إذ لابدّ للإنسان الشجاع الحكيم من اكتساب الخبرات، وإن كانت من خلال المصاعب والمتاعب والبرد القارس. وهكذا عضّ بيترو على أسنانه وتابع سيره.

وعند وصولهم إلى قصر الأربعاء المقدس، ترجل بيترو عن حصانه ودخل القصر، ووجد أمامه ملكة الأربعاء المقدّس فقال لها: «صباح الخير، يا أمي».

Twitter: @ketab_n

«شكراً، أيها البطل المغوار المقاوم للجليد».

ضحك بيترو ولم يجب.

قالت ملكة الأربعاء المقدس، وقد ربتت على كتفه: «أظهرت بطولة وشجاعة نادرتين. سأعطيك الآن جائزة». واتجهت نحو خزانة حديدية وفتحتها، وأخرجت صندوقاً صغيراً. وقالت: «منذ قديم الزمان، خصصت هذه العلبة الصغيرة لمن ينجح في اختراق عالم البرد. خذ هذا الصندوق وحافظ عليه، فقد ينفعك ذات يوم. عندما تفتح الصندوق، سترد أنباء عن أي مكان تريد الإطلاع على ما يجري فيه، كما ستأتيك أخبار عن وطنك».

شكر بيترو ملكة الأربعاء المقدس على كلماتها الرقيقة، وهديتها القيمة، وركب حصانه وقاده. وبعد أن ابتعد قليلاً، فتح الصندوق السحري. ومن داخله جاءه صوت: «أمرك يا سيدي».

أجاب بيترو بتواضع: «زودني بأخبار عن أبي».

«إنه يجلس حالياً في غرفة الاجتماعات مع كبار رجال المملكة».

«هل هو سعيد الحال؟»..

«لا، إنه يواجه المتاعب».

Twitter: @ketab_n

سأل بيترو بحدة «ومن هذا الذي يزعجه؟».

أجاب الصوت القادم من الصندوق: «أخواك، كوستان، وفلوريا. يبدو لي أنهما يحاولان انتزاع السلطة منه. ويقول الحاكم العجوز إنهما غير مؤهلين بعد للحكم».

صاح بيترو: «هيا نسرع الخطى، يجب ألا نضيع لحظة من وقتنا».

ثم أغلق الصندوق ووضعه داخل حقيبته.

أسرعوا في الجري حتى ظن من رآهم أن عاصفة هوجاء تدفعهم أمامها. وساروا لأيام طويلة.

وبعد مدة من الزمن، قال الحصان: «قف، سأقدم لك نصيحة أخرى».

قال بيترو: «حسناً، هات ما عندك».

«تحملت برداً قارساً، وعليك الآن مواجهة حرارة عالية لم تشعر بها قط من قبل. استجمع شجاعتك، ولا تنجذب لنداءات المناطق الباردة».

أجاب بيترو: «هيا إلى الأمام، لا تخش شيئاً. إن لم أتجمد، فلن أذوب من شدة الحرارة».

Twitter: @ketab_n

في واقع الأمر، كانت تلك الحرارة الشديدة كفيلة بتذويب نخاع العظم، وهي حرارة لا مثيل لها إلا في مملكة الخميس المقدس. وكلما قطعوا شوطاً إضافياً عبر تلك المملكة، اشتدت درجات الحرارة. وقد بدأت حدوات الجياد الحديدية بالذوبان، لكن بيترو لم يستسلم. وسال العرق من جسده على شكل جداول، وقد مسحه بكمّيه. وواصل رحلته بسرعة ونشاط.

ومما ضاعف من معاناة بيترو وعذابه، أنه، على الرغم من شدة الحرارة، وجد على حافتي الطريق ودياناً باردة النسمات، وينابيع مياهها كالثلج الصافي تبدي استعدادها لإرواء ظمأ المسافر. وعندما نظر بيترو إليها، أحس كأن قلبه يرتعش، وأن لسانه جف من شدة العطش. وقد نمت قرب الينابيع أزهار السوسن والبنفسج، وورود من شتى الألوان والأنواع، وإلى جانبها وقفت فتيات لا أجمل منهن ولا أروع. وكاد أن يغمى على بيترو لولا أنه أغمض عينيه عن تلك المخلوقات المسحورة.

نادت الحسناوات: «تعال، أيها البطل، إلى المياه الباردة. ستسر بصحبتنا».

هز بيترو رأسه بصمت، ذلك أنه فقد القدرة على النطق.

Twitter: @ketab_n

وتابعوا الرحلة الشاقة، حتى شعروا فجأة أن شدة الحرارة أخذت في التراجع، ولاحت لهم من بعيد هضبة يقع كوخ فوق قمتها. كان ذلك هو مسكن ملكة الخميس المقدس. اقترب بيترو، وعند الباب وجد الملكة في استقباله. عبّر بيترو عن شكره، كما هي عادة الأشخاص المهذبين المتميزين، وتبادلا الحديث كما يفعل الغرباء عند أول لقاء يجري بينهم.

نقل بيترو أنباء عن الأربعاء المقدس، ووصف مغامراته وذكر هدف رحلته، ثم ودع الملكة، لأنه لم يرغب في تضييع وقته.

من يدري كم من الوقت احتاج كي يصل إلى الساحرة أورورا؟

قالت ملكة الخميس المقدس: «انتظر كي أحدثك قليلاً. توشك أن تدخل مملكة الجمعة المقدسة. اذهب إلى ملكتها وانقل تمنياتي لها بالصحة والعافية. وعند عودتك أرجو أن تزورني للمرة الثانية، وسأعطيك شيئاً سينفعك يوماً ما».

شكرها بيترو وركب حصانه.

قطع مسافة قصيرة ووصل سريعاً إلى منطقة جديدة، يشبه طقسها الربيع حين تتفتح الأزهار والرياحين. بدا

Twitter: @ketab_n

بيترو طبيعياً رائق المزاج، لكنه واجه مستنقعاً يتكون من رمال وأشواك.

تساؤل عندما رأى من بعيد شيئاً شبيهاً بكوخ: «ما هذا؟».

أجاب الحصان: «ذلك هو بيت الجمعة المقدسة. إن واصلنا السير، سنصل إليه قبل حلول الظلام».

وهذا ما تم بالفعل. قبل أن يخيم الليل، اقترب البطل من البيت البعيد، ولكن ظهر أمامه حشد من الأشباح، طاروا عن يساره وعن يمينه، ومن خلفه ومن أمامه.

قال الحصان: «لا تخف ولا تجزع. هؤلاء هم أبناء الزوابع، إنهم يرقصون في الهواء بانتظار القمر».

وهكذا وصلوا إلى بيت الجمعة المقدسة. قال الحصان: «ترجّل، وادخل إلى البيت».

أوشك بيترو على تنفيذ ما طُلب منه.

أضاف الحصان: «قف. لا تتعجل. اسمح لي بداية أن أعلمك بما يتوجب عليك عمله. لن تستطيع دخول بيت الجمعة المقدسة من دون مقدمات، لأن الزوابع تحرسها».

Twitter: @ketab_n

«إذن كيف أتصرف؟».

«خذ الإكليل البرونزي واتجه نحو تلك الهضبة. وعند وصولك إلى قمة الهضبة، ابدأ في المناداة: «يا إلهي، يا لهنّ من فتيات جميلات وملائكة أجمل ومخلوقات كالحوريات». ثم ارفع الإكليل عالياً، وقل: «هل من أحد يأخذ هذا الإكليل؟ أتمنى لو كنت أعرف ذلك الشخص».

ثم ارم الإكليل في مكان بعيد. لكن، بيترو رجل من عادته الاستفسار عن الأشياء قبل الإقدام عليها، ويريد معرفة هدف أعماله، لذا سأل حصانه: «لماذا تطلب مني رمي الإكليل؟».

أجاب الحصان بحدّة: «اصمت، وتخلص منه بسرعة».

وما إن رمى بيترو الإكليل، حتى اندفعت نحوه الزوابع وأخذت تدور حوله. عندها اتجه بيترو نحو البيت.

صاح الحصان من جديد: «قف. لم أطلعك بعد على كل شيء. خذ الإكليل الفضي واطرق بواسطته على نافذة الجمعة المقدسة. وعندما تسألك: «من هناك؟». قل لها إنك قدمت سيراً على الأقدام، وإنك ضيعت طريقك عند عبور المستنقع. وسوف تؤنبك وترفض لقاءك. ولكن لا تتراجع ولا تتردد، بل

Twitter: @ketab_n

قل لها: «لن أبتعد. فمنذ صغري وأنا أسمع عن الجمعة المقدسة (فينوس[1]) . وقد عانيت طويلاً من أجل لقائها، ولم أنتعل حذاء من الفولاذ بشرائط من جلد العجل، ولم أقاتل كي أحصل على هذا الإكليل الفضي إلا من أجل تقديمه لها. ولم أتحمل كل تلك الأشياء كي أعود أدراجي دون لقائها».

أنصت بيترو إلى وصايا الحصان، بل مضى في طريقه نحو البيت. ونظراً لأن الظلام كان دامساً في المكان، لم يرَ البطل البيت، بل اهتدى إليه من خلال خيوط من النور تسللت عبر نافذة. وعند وصوله نبحت سبعة كلاب لعلمها أن غريباً اقترب من البيت. صاحت الجمعة المقدسة بغضب: «من بالباب؟ ومن يقاوم الكلاب؟».

قال بيترو لاهثاً كالمتيّم: «اسمي بيترو، أيتها الجمعة المقدسة، ضللت طريقي ولا أدري أين أمضي الليل».

ثم صمت بانتظار ردها.

سألت الجمعة المقدسة بشيء من الحدّة: «أين تركت جوادك؟».

فكر بيترو مليّاً، إذ لم يعرف فيما إذا توجب عليه أن يكذب أو

(1) فينوس: آلهة الحب والجمال عند الرومان (م).

Twitter: @ketab_n

أن يذكر الحقيقة. ولذا لم يجب.

قالت الجمعة المقدسة، وهي تبتعد عن النافذة: «ابتعد، بحق الإله، يا بنيّ. لا مكان لك في بيتي».

حينئذ كرر بيترو ما علمه إياه الحصان، وما إن قال تلك الكلمات، حتى فتحت الجمعة المقدسة النافذة.

قالت برقة ودلال: «أرني الإكليل، يا بنيّ».

قدم لها بيترو الإكليل.

قالت: «ادخل إلى بيتي. لا تخف لن تؤذيك الكلاب، فهي تعلم ما أريد».

صدَق وعدها، حيث أخذت الكلاب تهز أذيالها. ولحقت بالأمير كأنها تتبع سيداً عاد من عمله في المساء.

عند دخوله، نزع بيترو قبعته ووضعها على حافة الموقد وقال: «مساء الخير».

وعندما دعته الجمعة المقدسة إلى الجلوس، جلس على مقعد بجانب المدفأة. ثم أخذا في الحديث حول أمور العالم وشرور الإنسان وأشياء أخرى عديدة. بدا من خلال حديثهما، أن

Twitter: @ketab_n

الجمعة المقدسة متحاملة ضدّ الرجال. لكن بيترو وافقها على كل شيء، كما يليق برجل يجلس على مائدة مضيف كريم.

وتساءل بيترو في سره عن عمر تلك السيدة. وأخذ يحدق بوجهها. واستغرب من كثرة تجاعيده. وقد فكر بأن إحصاء تلك التجاعيد يتطلب بأن يكون قد ولد قبل مئات السنين. لكن الجمعة المقدسة ضحكت ملء قلبها عندما لاحظت أن بيترو ينظر إليها مليّاً.

قالت الجمعة المقدسة: «خلقت قبل مئات السنين في صورة جميلة. وعشت في عالم ساحر، ولقيت من أبويّ كل الرعاية والحب والدلال. وأعجب الناس أجمعين بجمالي حتى أصابتني اللاّمة[1]. ومنذ ذلك الوقت، ومع مرور كل قرن، تتشكل تجعيدة واحدة في وجهي. وقد تقدم بي العمر». وأطرقت الجمعة المقدسة رأسها وصمتت.

في أثناء الحديث، ذكرت الجمعة المقدسة لبيترو أن أباها كان ملكاً عظيماً. وعندما وقع، ذات يوم، خلاف بينه وبين الساحرة أورورا، والتي كانت تحكم البلد المجاور، تعرض للمهانة والذلّ على يدي تلك الساحرة. وقد أنصت لها بيترو بصمت، وبين الحين والآخر، كان يقول: «نعم، إنه أمر مؤسف بالفعل».

(1) اللاّمة: العين المصيبة بسوء (م).

Twitter: @ketab_n

وعندما غلبهما النعاس، قالت الجمعة المقدسة: «سأكلفك بمهمة. إن كنت رجلاً شجاعاً ستنفذها بنجاح. يوجد في مملكة الساحرة ينبوع، من يشرب منه يصبح في ريعان الشباب والجمال كالبراعم النديّة. اجلب لي جرة مليئة بماء من ذلك الينبوع، وسترى كيف أعبر عن امتناني وعرفاني بالجميل. لكن احذر. تقوم على حراسة مملكة الساحرة أورورا جميع أنواع الوحوش البرية والتنين المخيف. وأريد أن أخبرك بشيء آخر، وأن أعطيك شيئاً إضافياً».

بعد أن أنهت حديثها، اقتربت الجمعة المقدسة من خزانة مقفلة، وأخرجت منها قيثارة متناهية الصغر. قالت لبيترو: «عندما كنت طفلة، قدم لي شيخ مسن هذه القيثارة، من يسمع ألحانها يغط في نوم عميق إلى أن يغيب عن الوجود. خذ هذه الأداة، واعزف عليها طوال وجودك داخل مملكة الساحرة أورورا. ولن يؤذيك أحد لأنهم جميعاً سيكونون نياماً».

أكد بيترو لمضيفته أنه سيلبي رغبتها، وقد سُرّت منه. وتوقفا عن الحوار لأن الليل انتصف، وقال بيترو: «تصبحين على خير»، ثم وضع القيثارة داخل حقيبته، واتجه إلى غرفته كي ينام. وعند بزوغ الفجر، استيقظ الأمير الشجاع. حمل جرناً كبيراً ملأه بقطع من الفحم الأحمر الحارّ، وخرج لإطعام جياده. وبعد أن

Twitter: @ketab_n

ملأت الجياد بطونها بكتل حارة من النار، قادها بيترو إلى النبع حتى شربت وارتوت، ثم استعد لمواصلة رحلته.

أطلت الجمعة المقدسة من نافذتها وصاحت: «مهلاً، أود أن أسديك نصيحة».

اقترب بيترو من النافذة، قالت الجمعة المقدسة: «أبقِ حصاناً هنا، وخذ معك ثلاثة جياد فقط. وسر ببطء إلى أن تصل إلى مملكة الساحرة أورورا. ثم ترجّل وادخل مملكتها. وعند عودتك، لا تركب جوادك، بل عد أيضاً راجلاً، ودع الجياد الثلاثة على الطريق».

قال بيترو وهو يودعها: «سأنفذ جميع نصائحك».

تابعت الجمعة المقدسة: «لا تتعجل، لم أنهِ كلامي بعد. لا تنظر إلى الساحرة أورورا، لأن عينيها مسحورتان. إذ أن نظراتها تسلب عقول الرجال، وهي قبيحة لدرجة يستحيل وصفها. إن نظرت إليها ترى عينيّ بومة ووجه ثعلب ومخالب قطة. هل تسمع ما أقوله؟ لا تنظر إليها. وأرجو الله أن يعيدك إليّ سالماً غانماً، يا بنيّ بيترو».

شكر لها بيترو نصائحها وإرشاداتها، وهمّ بالانصراف. فلِمَ

Twitter: @ketab_n

يضيّع وقته في الثرثرة مع عجوز؟ وترك حصانه يرعى في المرج واستأنف رحلته.

من مكان بعيد، حيث تلتقي السماء الأرض، وتكلّم النجوم الأزهار، ظهر شيء برّاق وردي اللون، شبيه بلون السماء في صباح يوم ربيعي، لكنه أكثر جمالاً وروعة. كان ذاك هو قصر الساحرة أورورا، وقد فصلته عنه مروج حافلة بالأزهار من شتى الألوان والأشكال.

ومرة أخرى، لم يكن الطقس حارّاً ولا بارداً، بل كيوم ربيعي معتدل يخرج الناس فيه للنزهة. قاد بيترو حصانه عبر تلك المنطقة الجميلة بقلب فرح ملؤه السعادة. ولا يعرف أحد كم طالت رحلته، لأنه قضى أياماً طويلة إلى أن رأى شيئاً أبيض اللون يلمع من بعيد. وكلما اقترب من ذلك الشيء، اتضحت له ماهيته. كان ذاك هو قصر الساحرة. ثم تنهد كأنه يقول: «أشكرك، يا ربي».

كان القصر بديعاً، ارتفعت فوقه أبراج عالية جدرانها كصدف أكثر لمعاناً من الشمس عند الظهيرة. أما جدرانه فمن الفضة الخالصة. لكن ترى أي نوع من الفضة؟ فهي لم تكن تلمع تحت أشعة الشمس. أما النوافذ فقد أحيطت بإطارات من الذهب الخالص. وفوق تلك الأشياء مجتمعة، سطعت الشمس برقة، وتلاعبت نسمات لطيفة بالأغصان الوارفة.

Twitter: @ketab_n

لم يكن في وسع بيترو الانتظار طويلاً، لأنه كان في عجلة من أمره. لذا ترجل عن صهوة جواده، وترك الجياد لترعى الحشائش الندية، وحمل قيثارته، كما أشارت عليه الجمعة المقدسة. ودعا ربه أن يكون إلى جانبه، وبدأ مهمته الشاقة. ما كاد يمشي بضعة أمتار، حتى رأى عملاقاً نام بتأثير النغمات الجميلة لقيثارته. ذلك كان أحد حراس قصر الساحرة أورورا. وبينما استلقى على ظهره، أخذ بيترو في قياس طول العملاق بواسطة خطواته، وكان طويلاً لدرجة دفعت بيترو لأن يخافه حتى وهو نائم. وقد دهش عندما وجد أن وجه القمر المنير أصغر حجماً من عين العملاق. ولم تكن تلك العين كعين آدمي، بل استقرت وسط جبهته. إذن بهذا الشكل بدت عين العملاق. ترى كيف بدا باقي جسده! حقاً كان بيترو بطلاً شجاعاً، لكن في أعماقه حمد الله، ومن ثم شكر القيثارة والجمعة المقدسة، لأنه لم يخض صراعاً مع ذلك الوحش، ثم واصل طريقه.

سار حتى شعر بالرغبة في أخذ قسط من الراحة تحت ظل شجرة، إلى أن رأى أعداء أشرس وأكثر إثارة للرعب. وجد مجموعة من التنانين، وكل منهم بسبعة رؤوس، وكانوا نائمين

Twitter: @ketab_n

في الشمس. وقد استلقى بعضهم على جنبهم الأيمن، وآخرون على أيديهم اليسرى. ومن المعروف للجميع أن كائنات كالتنانين لا يستهان بها. وقد مرّ بيترو بها سريعاً بدافع الخوف، وإن كانت نائمة.

ثم وصل الأمير إلى نهر، لكن، سرعان ما وجد أنه نهر غير عادي، فقد جرى فيه حليب بدلاً من الماء.

ولم يجر الحليب على رمل وحصى، بل فوق حبات لؤلؤ وأحجار كريمة. ذلك كان هو النهر الذي جرى حول القصر. وعلى ضفة النهر، نامت أسود يغطي رأسها شعر من الذهب، ولها أسنان ومخالب من الحديد. قام أولئك الأسود عل حراسة الضفة الأخرى من النهر، حيث وجدت حديقة غناء، لا مثيل لها في إلا في عالم الساحرة أوروورا.

وعلى ضفة النهر نمت أجمل الأزهار والبراعم، وفوق كل زهرة وبرعم نامت حسناوات، كل منهن أجمل من رفيقتها. ولم يجرؤ بيترو على النظر في ذلك الاتجاه، وتساءل كيف يمكن له أن يعبر النهر. فقد كان عريضاً عميقاً لا يحوي سوى جسر وحيد، ليس كسواه من الجسور في العالم. فإن المرء يراه بعينيه، لكن، إن حاول قطعه فلن يشعر سوى بالفراغ تحت قدميه. ومن يدري

Twitter: @ketab_n

من أي شيء صنع ذلك الجسر. ربما صنع من سحابة صغيرة. وعند كل ضفة نامت أربعة أسود.

وهكذا توقف بيترو عند ضفة النهر، حيث لا مجال لعبوره. ولو فكر بقطعه سباحة لما استطاع. إذن ما العمل؟ في حقيقة الأمر، لا شيء كان سيثني بيترو عن إنجاز مهمته، ولم يكن من السهل إخافته. استدار وعاد إلى العملاق، وقال في سره: «سأواجه الخطر. سأحاور العملاق».

صاح، وشدّ العملاق من كم سترته: «هيا استيقظ، أيها الرفيق الشجاع».

وعندما استيقظ العملاق، مد يده نحو بيترو، كما نفعل عندما نحاول الإمساك بذبابة. فما كان من بيترو إلا أن أمسك بقيثارته، وعزف لحناً نام العملاق عند سماعه.

ثم أيقظه بيترو، وجعله ينام مجدداً ثلاث مرات متعاقبة. وفي المرة الرابعة، نزع بيترو ربطة عنقه، وأوثق بواسطتها إصبعي العملاق الأصغرين، ثم استل سيفه، وضرب به على صدر العملاق قائلاً: «هيّا، استيقظ أيها الرفيق الشجاع».

وعندما رأى العملاق أن شخصاً تافهاً يلاعبه صاح به: «ليس هذا قتالاً عادلاً. قاتل بنزاهة إن كنت بطلاً حقيقياً».

Twitter: @ketab_n

قال بيترو: «انتظر قليلاً، أريد محاورتك. أقسم بأن تساعدني على عبور النهر كي أحررك، ثم سنخوض معركة حقيقية».

أقسم العملاق كما طلب بيترو، الذي ساعده على النهوض. لكن، ما إن استيقظ حتى اندفع نحو بيترو كي يسحقه بضربة واحدة. لكن واجه العملاق ندّاً له. فقد كبر بيترو ونما في يوم واحد، وهجم بدوره بجرأة على خصمه. وتقاتل الخصمان لأكثر من ثلاثة أيام بلياليها. وأمسك العملاق بالبطل بيترو ورمى به إلى الأرض كي يدفنه حتى ركبتيه.

لكن بيترو تغلب على العملاق، ودفنه حتى مستوى صدره. وعندما وجد العملاق أنه محاصر على ذلك النحو، صاح في خوف: «دعني أخرج، أعترف بهزيمتي».

سأل بيترو: «هل ستنقلني عبر النهر؟».

قال من قعر الحفرة: «نعم، سأنقلك».

«وإن نكثت بوعدك، ماذا تنتظر مني؟».

«أقتلني إن لم أف بوعدي. والآن أنقذني، أرجوك».

قال بيترو: «حسناً، اتفقنا».

Twitter: @ketab_n

ثم أوثق يد العملاق اليسرى بقدمه اليمنى، وأدخل منديلاً داخل فمه لمنعه من الصياح، وربط عُصابة حول عينيه كي يحجب عنه الرؤية، وقاده نحو النهر.

قال بيترو: «استلق هنا». ثم عزف على قيثارته، فهوى العملاق فوق ضفة النهر.

وعندما سمعت الساحرات، اللاتي كنّ يستحممن في أمواج النهر الحليبية، نغمات القيثارة، شعرن بالنعاس، وخرجن من النهر، ونمن فوق البراعم المنتشرة على طول الضفة، حيث وجدهن بيترو عند نزوله من فوق راحة يد العملاق. ولم يجرؤ على النظر إليهن، رغم جمالهن الأخاذ.

وحدّث نفسه: «إن كانت هؤلاء الساحرات بهذا القدر من الجمال، فما هو حال الساحرة أورورا؟ أم أنها الأكثر قبحاً بين أجمل الساحرات؟ لم يضيّع الأمير وقتاً في التساؤلات، بل انطلق كي يرى بأم عينيه.

حينما دخل الحديقة، أخذ يتساءل من جديد عن كنه ما يشاهده من حوله. فقد حملت الأشجار أغصاناً ذهبية، وكانت مياه الينابيع أكثر صفاء من الندى، وهبت الرياح على هيئة ألحان

Twitter: @ketab_n

موسيقية، وهمست الأزهار بكلمات رقيقة محببة. وما ضاعف من دهشة بيترو أن الحديقة بأكملها تشكلت من براعم لم يتفتح أي منها. وخطر له أن العالم قد توقف عند لحظة معينة، أي عند ربيع أبدي. وظل بيترو يتساءل عن طبيعة تلك الحديقة وأزهارها أثناء سيره نحو القصر. ولم يعترض أحد طريقه، أو اخترق أفكاره، فالجميع كانوا نياماً، الحوريات بجانب النوافير، والطيور على الأغصان، والغزلان بين الأشجار، والفراشات فوق الأزهار. نام جميع هؤلاء على نغمات القيثارة، وحلموا أحلاماً ورديةً. كما توقفت الريح عن مداعبة الأوراق، وأشعة الشمس عن شرب قطرات الندى، وتوقف النهر عن الجريان. وحده بيترو ظل يقظاً، حتى وصل إلى فناء القصر. وقد انتشرت حول المكان الحشائش الخضراء اليانعة التي تتمايل مع نسمات رقيقة منعشة. ثم وصل إلى البوابة التي صنعت بالكامل من أزهار وأشياء أخرى جميلة نضرة. وإلى جانب البوابة ومن حولها، نمت أزهار إضافية. كل منها أكثر بهاءً وروعة من الأخرى، حتى شعر بيترو كأنه يسير فوق سحب ناعمة الملمس. وعلى يمينه وشماله، رأى حوريات نائمات كان يفترض بهن السهر على حراسة القصر.

نظر بيترو حوله في جميع الاتجاهات وقال من جديد: «يا

Twitter: @ketab_n

رب، أدعوك أن تمنحني القوة والشجاعة، وأن تسدد خطاي». ثم دخل القصر.

ما رآه بيترو داخل القصر لا يوصف. ورغم إدراكه أنه في مكان غير عادي، فقد دُهش من روعته وحسن تنظيمه. لقد ظن أن ما رآه خارج القصر يشبه ما سيجده داخله. وصعد درجات البهو ثم دخل القصر.

زينت جدران الغرف الاثنتي عشرة الأولى بقماش قطني رقيق. كما غطيّت جدران الغرف الاثنتي عشرة الثانية بالحرير. ثم شاهد بيترو اثنتي عشرة غرفة أخرى بنيت جدرانها من الفضة تلتها اثنتا عشرة غرفة من الذهب.

مر بيترو بسرعة بالغرف الثماني والأربعين، وفي الغرفة التاسعة والأربعين، وهي الأجمل والأروع بين جميع الغرف، وجد الساحرة أورورا.

اتسمت غرفة الساحرة بارتفاع شاهق واتساع ظاهر، وبدت كإحدى أجمل الكنائس. وقد غطيت جدرانها بشتى أنواع الحرير، وغيره من الأقمشة الناعمة والأشياء الجميلة. وأما أرضتها، فيخيل لمن يسير فوقها كأنه يطأ شيئاً لامعاً كالمرايا،

Twitter: @ketab_n

وناعماً كوسائد من الريش، فضلاً عن أشياء أخرى، تليق بالساحرة أورورا. وقد دهش بيترو عندما وجد نفسه وسط ذلك الجمال المنقطع النظير. وعند مركز تلك الغرفة الهائلة، وجد بيترو الينبوع الذي جاء من أجله. كان ينبوعاً عادياً، كسواه من الينابيع. وتساءل عما يدفع الساحرة أورورا لوضعه داخل غرفتها. وقد أحاط بالينبوع مدرّج حجري يعود بناؤه لأزمان قديمة، ويبدو أنه ترك على حاله لأهداف خاصة.

وإلى جانب النبع، استلقت الساحرة أورورا في عربة من الذهب، وأشياء أخرى جميلة، الله وحده يعرف ماهيتها. هناك نامت الساحرة أورورا على فراش ووسائد حريرية محشوة بنسمات ربيعية. لم تكن جميلة. وكيف تتصف بالجمال، وقد أكدت الجمعة المقدسة أنها تجمع في جسدها أبشع الأشياء؟

لكن عندما نظر بيترو إليها، وهي نائمة في عربتها. حبس أنفاسه، وتوقف عن العزف على قيثارته السحرية، فقد خدّر بفعل أكثر العجائب دهشة. كانت ساحرة الجمال بل أكثر جمالاً وروعة من أي كائن وقعت عليه عيناه. وقد نامت حولها اثنتا عشرة فتاة من أجمل حوريات المملكة. وظن بيترو أنهن نمن أثناء انتظارهن أوامر الملكة. وبينما استغرق في التحديق بالساحرة

Twitter: @ketab_n

أوروورا، لم ينتبه إليهن، إلا لحظة استيقاظهن حين انقطاع نغمات القيثارة. ارتعش بيترو، وأخذ يعزف من جديد. وغرق القصر ثانية في نوم عميق، وتقدم الأمير ثلاث خطوات.

ما بين العربة والينبوع، وُجدت مائدة وضع عليها رغيف صغير أبيض اللون، عُجن بحليب أنثى ظبي، وكأس من النبيذ الأحمر. بدا كل شيء، من حوله، جميلاً كحلم صباحي.

فقد تشكل ذلك الرغيف من حليب القوة ونبيذ الشباب. نظر بيترو نظرة سريعة إلى رغيف الخبز، وأخرى إلى النبيذ، وثالثة إلى الساحرة أوروورا، ثم خطا ثلاث خطوات أخرى، فوصل إلى العربة والمائدة والنبع. وعندما وقف إلى جانب العربة، كاد أن يفقد عقله.

وفي الواقع، لم يستطع كبح جماح نفسه، فانحنى وقبّل الساحرة أوروورا. فتحت عينيها، ونظرت إليه نظرة كانت أن تفقده رشده. من جديد، عزف على القيثارة فنامت. وضع الإكليل الذهبي على جبينها، وأخذ قطعة من الخبز، وشرب جرعة من نبيذ الشباب. ثم قبّل الساحرة ثانية، وقضم لقمة أخرى من الخبز، وشرب مزيداً من النبيذ. كرّر ذلك ثلاث مرات متتاليات، قبل أن يملأ الجرة بماء الينبوع، ويختفي في لمح البصر.

Twitter: @ketab_n

وعندما وصل البطل إلى الحديقة، وجد عالماً آخر. فقد كانت الأزهار طبيعية، والبراعم على حالها غير متفتحة، والينابيع تجري في نسق معهود، وأشعة الشمس تتراقص بمرح فوق جدران القصر. كما بدت وجوه الحسناوات أكثر بهاءً ونضرة. لقد تحقق كل ذلك بفعل ثلاث لقيمات من الخبز.

مضى بيترو من حيث أتى، بين الحوريات والأزهار، وعبر النهر فوق راحة يد العملاق مارّاً بالأسود والتنين، وغيرهم من الوحوش. وعندما ركب حصانه، نظر خلفه مرة أخرى، فوجد كل شيء يتحرك على طبيعته. وقاد حصانه بسرعة فائقة، حيث ينتظره خير عميم، ووصل إلى قصر الجمعة العظيمة سيراً على قدميه. وقد علمت بقدومه عند سماعها صهيل الجواد الذي شعر باقتراب سيده. ولذا تقدمت للقائه والترحيب به، حاملة خبزاً أبيض اللون، وشيئاً من النبيذ الأحمر.

«أهلاً، أيها الأمير».

«صباح الخير، شكراً جزيلاً، أيتها الجمعة المقدسة».

Twitter: @ketab_n

ثم سلمها بيترو جرّة الماء المأخوذ من نبع الساحرة أوروورا. وقد شكرته مضيفته بحرارة. وتبادلا بعض الكلمات بشأن رحلته، وقصر الساحرة أوروورا، وجمالها بوصفها شقيقة الشمس.

ثم أسرج بيترو حصانه، لأنه لم يرغب في تبديد وقته في أحاديث طويلة لا طائل منها. وقد استمعت الجمعة المقدسة إليه بفرح تارة، وبحزن تارة أخرى. كما انتابها شيء من الأسى والغضب. لكن، عندما أيقنت أن بيترو راحل بالفعل حاملاً معه بعضاً من ماء النبع، تمنت له السعادة والعافية.

لم يتوقف بيترو إلى أن وصل إلى مملكة الخميس المقدس. هناك ترجل ودخل قصرها، كما اتُفق، كي يلقي عليها السلام، وليتبادل معها بعض الكلمات، على أن يودعها سريعاً.

قالت ملكة الخميس المقدس بقلق: «مهلاً، أريد أن أقول لك شيئاً قبل رحيلك. لا تجازف بحياتك، ولا تحاور أحداً. ولا تقد حصانك بسرعة فائقة، ولا تركن لخطر الماء، ولا تصدق الوعود والكلمات المعسولة. وامض كما أتيت، فالطريق طويل والعالم مليء بالأشرار، وفي يدك شيء لا يقدر بثمن. لذا استمع لما سأقوله. إليك هذا المنديل، إنه غير منسوج من الفضة ولا الذهب ولا اللآلئ، بل من شرائط حريرية. حافظ عليه فهو مسحور، ومن يحمله لا تصيبه الصواعق، ولا يطعنه رمح، ولا يذبحه سيف، ولا تصيبه طلقة نارية».

Twitter: @ketab_n

بعد أن أنهت توصياتها وإرشاداتها، سلمت ملكة الخميس المقدس المنديل إلى بيترو، الذي انطلق سريعاً كما تنطلق الساحرات عندما يستولي عليهن شوق عارم.

ولم يترجل بيترو عن حصانه عند وصوله إلى مملكة الأربعاء المقدس، بل توقف قليلاً للسؤال عن حالها. وفي تلك اللحظة تذكر الصندوق السحري، وتمنى الاطلاع على ما يجري في هذا العالم، فاستخرجه من حقيبته. ما إن سحبه وفتحه، حتى جاء من داخله صوت قال: «إن الساحرة أورورا غاضبة لأنك أخذت ماء من ينبوعها. كما أن الجمعة المقدسة حزينة لأنها كسرت جرتها، أما أخواك فلوريا وكوستان فغاضبان لأنك انتزعت المملكة منهما».

ضحك بيترو ملياً عندما سمع تلك الأنباء، ثم سأل الصوت: «كيف كسرت الجمعة المقدسة الجرّة؟».

«أخذت ترقص فرحاً، فوقعت على الأرض، وكسرت الجرّة».

«وكيف انتزعت المملكة من أخويّ؟».

أخذ الصندوق يروي كيف ألح فلوريا وكوستان على أبيهما، الذي كبر في السن وفقد بصره، وتوسلا إليه كي يقسم المملكة بينهما. وقد أجاب الملك بأنه لن يحكم المملكة إلا من يفلح في

Twitter: @ketab_n

جلب الماء من نبع الساحرة أوروورا. وعندما أدرك الأخوان ما قصده أبوهما بكلامه، توجها نحو العجوز بيرشا التي أخبرتهما بأنك وصلت إلى النبع وحققت الهدف. وأنك في طريق العودة إلى الوطن. وقد تشاور أخواك فيما بينهما، وهما الآن في طريقهما لمواجهتك وقتلك، وانتزاع الماء منك كي يحكما المملكة.

لدى سماعه كل ذلك، قال بيترو بغضب شديد: «إنك تكذب، أيها الصندوق اللعين».

ورمى بالصندوق إلى الأرض، فتحطم إلى سبع وسبعين قطعة. ثم سار مسافة قصيرة فرأى سحب بلاده، وشمّ نسمات عطرها، ورأى من بعيد قمم جبال ألفها وتاق إليها.

وإذ أوشك على عبور جسر يقع عند حدود المملكة، ظنّ أنه سمع من بعيد صوتاً يناديه، بل يصيح باسمه «بيترو»، وهمّ بالتوقف. صاح الحصان: «إلى الأمام، إلى الأمام، إن توقفت فستندم».

«لا، هيّا نتوقف. فلنر من هو ذاك المنادي وماذا يريد؟ دعني أواجه هذا العالم المليء بالأشرار».

قال الحصان: «بيترو، احذر. أليس من الأفضل أن تتذكر ما

Twitter: @ketab_n

قالته لك ملكة الخميس المقدس؟ أليس من الأجدى أن تنصت لنصيحة الحصان؟ ذلك هو العالم على حقيقته، ولا شيء يجدي لتغييره».

وعندما استدار رأى أخويه فلوريا وكوستان، وقد اقتربا منه. أضاف الحصان: «هيّا إلى الأمام يا بيترو. ألم تنصحك ملكة الخميس المقدس ألا تحدّث أحداً؟ ألا تذكر الأنباء التي نقلها لك الصندوق السحري؟». اقترب الأخوان متوددين إليه بكلمات معسولة.

«هل نسيت يا بيترو ما قالته ملكة الخميس المقدس؟».

عندما شاهد أخويه العزيزين، ترجل واندفع لمعانقتهما، حيث ما كان في مقدوره الامتناع عن السلام عليهما، خاصة بعد مرور وقت طويل لم ير فيه وجه إنسان، ولا سمع صوتاً بشرياً. وقد بدا بيترو فرحاً وسعيداً بلقائهما. كما بادله فلوريا وكوستان السلام والتحية بأجمل منهما. وبقي الحصان بمفرده حزيناً مطرق الرأس. وبعد أن تحدث الأخوة لفترة طويلة عن الملك العجوز والوطن ورحلة بيترو، قطّب فلوريا حاجبيه.

«أخي بيترو، يحفل هذا العالم بالأشرار، أليس من الأفضل لك أن تسلمنا هذا الماء كي نحمله بالنيابة عنك؟ سيأتي الناس للقائك، ومن يدري؟ قد يهاجمك أحدهم، أو يقع لك مكروه».

Twitter: @ketab_n

قال كوستان: «نعم بالتأكيد، ما يقوله فلوريا معقول ومنطقي».

هزّ بيترو رأسه مرة أو مرتين، ثم أخبر أخويه بقصة المنديل السحري. وعندها أدرك الشقيقان أنه لا توجد سوى طريقة وحيدة للتخلص من بيترو. ومن هنا أخذ فلوريا يتحدث إلى كوستان متجاهلاً بيترو، وكان الجميع على مسافة قصيرة من بئر ذي ماء بارد نقي.

سأل فلوريا: «ألا تشعر بالعطش يا كوستان؟»..

أجاب كوستان، وقد فهم قصد أخيه: «نعم بالتأكيد. هيا يا بيترو فلنزو ظمأنا إلى أن يهدينا الله إلى حل مفيد. وسوف نلحق بك لحمايتك من الأخطار والعثرات».

صهل الحصان فجأة: «لا تذهب يا بيترو، لا تذهب». لكن البطل لم يفهم ما قصده الحصان. لقد خدع فلوريا وكوستان أخاهما، ودفعاه نحو البئر، بعد انتزاع الجرة من يده.

كان البئر كبيراً وعميقاً. ورجع الأميران فلوريا وكوستان إلى الإمبراطور حاملين الماء مدعيين أنهما جلباه من الساحرة أورورا.

Twitter: @ketab_n

صهل الحصان ثانية، بعنف وأسى لدرجة أن الغابات اهتزت خوفاً منه. ثم اندفع نحو البئر، ووقف هناك وقد شلّه الرعب والحزن.

تلك هي حكاية الأمير بيترو، البطل الشجاع. يبدو أنه قدر له أن يواجه ساعة مشؤومة.

أقيمت مأدبة في القصر وجرت احتفالات رائعة. وسرت في أنحاء البلاد أنباء تفيد أن ابني الملك، فلوريا وكوستان، جلبا الماء من نبع الساحرة أورورا. وقد غسل الملك عينيه بالماء فاسترد بصره، وأصبح قادراً على رؤية كل شيء، بما فيه الحشرات المتناهية الصغر.

وبعد أن قسّم مملكته بين ولديه الشجاعين، خلد إلى الراحة في قصر صغير، كي يمضي شيخوخته في هدوء. وهكذا انتهت حكاية الماء المأخوذ من نبع الساحرة أورورا. وقد احتفلت البلاد بالمناسبة، وأقيمت احتفالات دامت ثلاثة أيام بلياليها، ثم استأنف الناس نشاطاتهم وأعمالهم، كأن شيئاً لم يكن.

وبالعودة إلى الساحرة أورورا، فقد استعادت وعيها بعد أن غادر بيترو قصرها، وانقطع صوت قيثارته. فتحت عينيها ورفعت رأسها، ونظرت حولها في كل اتجاه كأنها تبحث عن شيء ما، لا تدري ما هو.

Twitter: @ketab_n

سألت، وهي بين اليقظة والحلم: «ماذا جرى؟ ومن حضر إلى هذا القصر؟».

تراءى لها بأنها رأت شيئاً ما من وحي الخيال، وليس من عالم الواقع، وهو شيء جميل وسارّ. رأت كائناً كالبشر، لكنه أكثر وسامة وجاذبية من أي إنسان عرفته من قبل.

«ألا تعرفون اسم ذلك الشخص؟ وهل رأيتموه أيضاً؟ أم كنتم نائمين حالمين؟».

تلك الأسئلة وغيرها طرحتها الساحرة أورورا على نفسها، وعلى خدمها من الجن. وقد شعرت بأنها امتلكت روحاً مغايرة منذ أن التقت ذلك الشخص العجيب. لكن، لم يجبها أحد عن أسئلتها، وعلت الدهشة وجوه الجميع.

ثم تنبهت الساحرة أورورا لوجود الإكليل. وقالت: «يا له من إكليل رائع. من جمع أزهاره، وصنع منها هذه الباقة الساحرة؟ ومن حمل الإكليل إلى عربتي؟».

ثم ألّم بالساحرة حزن كبير. ولاحظت عندما نظرت إلى رغيف الخبز أن ثلاث لقيمات فُقدت من جهته اليمنى، ولقيمة من جهته اليسرى، وأخرى من وسط الرغيف. كما أدركت أن

Twitter: @ketab_n

النبيذ الأحمر تعرض للأمر نفسه. فُقدت منه ثلاث رشفات، واحدة من أعلاه، وأخرى من قعر الإناء، وثالثة من وسطه.

من المؤكد أن شخصاً ما دخل إلى القصر. واشتد حزن الساحرة أورورا، وأحسّت كمن فقد شيئاً عزيزاً، لكنها لم تدرِ ما هو ذلك الشيء، ولا كيف ضاع منها.

وأصبح ماء الينبوع عكراً. لقد أخذ أحدهم الماء من النبع. هنا اشتد غضب الساحرة أورورا، إذ كيف أمكن لأحدهم أن يصل إلى النبع؟ وأين كانت عيون الحراس اليقظة؟ وأين كان العمالقة والأسود ذوو الرؤوس المسلحة بأسنان حديدية؟ وأين كان التنين والساحرات والأزهار والشمس؟ ماذا شغلهم عن حراسة القصر؟ فقد انشغل الجميع عن الحراسة. ولدى إدراكها لحقيقة ما جرى، شعرت بغضب عارم، وأصدرت أمرها: «هيّا، أيها العمالقة والأسود، امضوا بصحبة التنين، وتعقبوا إثر ذلك الشخص، واقبضوا عليه وأعيدوه إليّ».

بعد صدور أمر الساحرة أورورا، دبّت الحركة في جميع أرجاء المملكة، لكن بيترو كان قد هرب بسرعة لدرجة أن أشعة الشمس لم تكن قادرة على اللحاق به. وقد عاد الجميع

Twitter: @ketab_n

آسفين ونقلوا إليها أنباء حزينة. نجح بيترو في عبور حدود المملكة، بحيث ما عاد لحراس قصر الساحرة أورورا أي نفوذ.

ومن شدة حزنها، نسيت الساحرة غضبها، وأرسلت وراء الشمس كي تجمع سبعة أيام في يوم واحد، وأن تبحث وتدقق في البحث لتأتي لها بأنباء مفيدة. وطوال تلك الأيام السبعة التي طويت حتى أصبحت يوماً واحداً، جلست الساحرة أورورا لا تلوي على شيء، سوى مراقبة مسيرة الشمس. وقد أطالت النظر إلى الشمس إلى أن دمعت عيناها. ولا يدري أحد ما إذا بكت من طول النظر إلى الشمس، أم من شدة الشوق والحزن.

لكن يا للأسف. في اليوم السابع، عادت الشمس وقد أصبحت حمراء ومرهقة وحزينة، فضلاً عن جلبها أنباء غير سارّة. فقد لجأ بيترو إلى مكان لا تقدر أشعة الشمس على اختراقه.

وعندما وجدت الساحرة أورورا أن تلك المحاولة الأخيرة قد باءت أيضاً بالفشل، أصدرت أوامر صارمة. فقد أمرت بأن تكفّ الجنيات عن الابتسام، وأن تتوقف الأزهار عن نشر عطرها، وأن تكفّ نسمات الهواء عن الحركة، والينابيع عن صبّ مياهها الصافية، وأشعة الشمس عن اللمعان. كما أمرت بوضع ستار

Twitter: @ketab_n

أسود مظلم يفصل بين مملكتها والعالم، وأن يكون كثيفاً لا يسمح لشعاع واحد باختراقه. وكان قصد الساحرة أورورا من تلك الأوامر، أن تجبر الشمس على الثبات في مكانها، حتى يعود الشخص الذي أخذ الماء من الينبوع.

وقد سرت تلك الأنباء عبر الجزء المظلم من العالم. وقد وافق الناس على أن الضوء العظيم مخصص لعين الملك. فلا أحد في العالم يرى شيئاً سواه، ولا يعاني أحد من الظلام غيره، ولم يكن هناك شخص أشد تعاسة منه. لذا أمر ولديه فلوريا وكوستان بالانطلاق من أجل تحرير العالم من الظلام.

من الثابت أن من يكذب مرة، يسعى إلى الكذب ثانية، وهكذا ركب فلوريا حصانه، وقاده على الدرب الذي سلكه بيترو من أجل الوصول إلى مملكة الساحرة أورورا. وعندما أوشك على الاقتراب من قصرها، شعرت الساحرة بأن شيئاً غريباً يقترب منها.

سألت بحدة: «من هناك؟».

أجاب التنين المسؤول عن حراسة الجسر: «شخص ما قادم إلينا».

«هل جاء سيراً فوق الجسر؟».

Twitter: @ketab_n

ولأننا عرفنا مواصفات الجسر من قبل، فقد مرّ فلوريا من تحت الجسر.

أجاب التنين وهو مذهول: «إن البطل قادم من تحت الجسر».

قالت الساحرة: «راقبه جيداً، وإلا عوقبت عقاباً شديداً».

ثم خرجت لاستقبال فلوريا الذي سرّ عند رؤية جمالها الأخاذ.

قالت: «أهلاً بك، يا بطلي، هل سرقت الماء؟».

«نعم، إنك محقة. أخذت الماء».

«وهل شربت من النبيذ؟».

التزم فلوريا الصمت.

«وهل أكلت من الخبز؟».

أجاب فلوريا: «لا».

«وهل قبلتني؟».

صمت بحثاً عن إجابة مفيدة.

Twitter: @ketab_n

«إذن، ستفقد بصرك، وسألقنك درساً قاسياً كي لا تبتدع الأكاذيب مرة أخرى».

ثم لطمته لطمتين، واحدة على خده الأيمن، والأخرى على خده الأيسر، إلى أن اسودّ كل شيء أمام عينيه. وقد جر تنينان الأمير الأعمى وطرداه خارج القصر، وانتهى الأمر.

وبعد غياب فلوريا، وفقدان الأمل في عودته، خرج كوستان في إثر أخيه. انطلق نحو قصر الساحرة أوروورا، ووصل إليه. وقد تصرف كأخيه الأكبر، ولقي أيضاً العقاب ذاته، وطرده تنينان خارج القصر.

ومنذ ذلك الحين، لم يعد في الأرض سوى بصيص واحد من نور، فقد حُرم العالم من الضوء.

وبعد أن فقدت الساحرة أوروورا الأمل في استرجاع بيترو، استدعت جميع سكان مملكتها.

مثُل جميع الجان والسحرة والأزهار وكل شيء أمام أوروورا، كما حضرت الشمس أمامها. وعند اجتماعهم في حضرتها، لم تصدر الملكة الجميلة مزيداً من الأوامر، بل دفعتها شدة الحزن والمعاناة لوداعهم وشكرهم على خدماتهم وحبهم وثقتهم. كما

Twitter: @ketab_n

أطلقتهم في شتى أنحاء العالم، كي يسلك كل منهم الطريق الذي يختاره، ويعيش وفقاً لأفكاره وآرائه. وأبقت الساحرة أورورا على أسدين وتنينين صغيرين وعملاقين كي يحرسوا الجسر المؤدي إلى القصر.

كما أرسلت جميع الجنيات إلى الحديقة، وأمرتهن بعدم العودة إلا بعد أن تسترد سعادتها.

بالإضافة لذلك، أمرت الساحرة الأزهار بالتوقف عن نشر عطرها، وأن تعاود الرياح هبوبها، وأن ترسل الينابيع مياهاً عكرة، وأن ترسل الشمس يومياً سبعة إشعاعات باردة تعم العالم وتجعله قارساً. وبعد إصدارها جميع تلك الأوامر، مضت نحو العجلة الهائلة التي تدور عليها خيوط الحياة البشرية، فأوقفتها، كي لا يعود للوجود البشري مكان في قصرها. ثم توارت الساحرة أورورا عن الأنظار داخل أكثر الأركان ظلمة وكآبة في قصرها.

وخرج العمالقة والتنانين كبيرها وصغيرها إلى العالم الواسع، واختفوا عن الأنظار من شدة الحرج والخجل داخل كهوف ومغارات نائية، حتى لا تراهم عين بشرية. كما نزع الأسود الذهب عن رؤوسهم، والحديد من أسنانهم ومخالبهم، واشتد

Twitter: @ketab_n

غضبهم. كما اختفت الجنيات في أركان الحديقة، وأطاعت الأزهار والينابيع والرياح أوامر الساحرة أورورا، وداومت الشمس على إرسال أشعتها الباردة، واختفى فصل الصيف.

وتوقفت الحياة البشرية، كما توقف الزمن عن الحركة. وقام على حراسة الجسر أسدان وتنينان وعملاقان.

وظل الحال على هذا المنوال في مملكة الساحرة أورورا، مدة طويلة، لا يقدر أحد على تحديد زمنها.

وفي نهاية الأمر، لاحظت الجمعة المقدسة أن الساحرة أورورا غاضبة. فقد حملت لها تلك الأنباء أشعة الشمس النادرة والزوابع التي اهتز بفعلها العالم.

وقد كانت الجمعة المقدسة غاضبة نوعاً ما، وسعيدة في الوقت نفسه. فقد انتابها الغضب لأنها ما عادت قادرة على رؤية الأشياء من حولها، لكن، في الوقت عينه شعرت بالسعادة لأن أميرها البطل المقدام نجا من الساحرة أورورا، وأن جارتها الجميلة حزينة لذلك. كما شعرت بالحنق لأنها كسرت جرّتها التي مُلئت بالماء السحري.

لكن عندما وجدت الجمعة المقدسة أن الظلام الدامس لن

Twitter: @ketab_n

ينحسر، وقد غاب النور نهائياً، أدركت أن الساحرة أورورا جادة في كل ما أمرت به. لذا أوعزت إلى الزوابع بالعمل سوياً على رفع الغطاء الكبير الذي وضع عند حدود المملكة كي يعود الضوء إلى العالم.

بالفعل انطلقت الرياح، وكل منها أشد غضباً، وأكثر شراسة وعنفاً من الأخرى، كما هو حال الزوابع. وبدا أن تلك الزوابع قد حملت العالم على أكفّها، وأنها لن تتوانى عن تنفيذ الأوامر التي صدرت إليها. ووصلت الزوابع إلى الغطاء، واندفعت نحوه. لكن رغم قوتها لم يتحرك قيد أنملة. وهبّت الزوابع عليه ثلاث مرات متعاقبة، ثم حاولت نزعه من جديد، دون جدوى. فقد وجدت الرياح العاتية أن الغطاء أكثر ثباتاً من الأرض نفسها. وبعد تريّث لبعض الوقت، عادت الزوابع أدراجها، وهي تجرّ أذيال الخيبة والذل وراءها.

عادت الزوابع إلى الجمعة المقدسة، ووصفت لها قوة الغطاء وصلابته. حينذاك اشتدّ هياج وغضب الجمعة المقدسة، فأرسلت الزوابع إلى قصر الملك لتطالب بيترو بالتدخل مع أورورا الساحرة، والتعهد بتلبية جميع مطالبها كي يعود الضوء إلى العالم. وانطلقت الزوابع من جديد،

Twitter: @ketab_n

ولكن بهدوء وتؤدة هذه المرة، أي كحال من يذهب للقاء صديق ودود. وقد وصلت إلى القصر فلم تجد بيترو هناك. عند ذاك بدأت الزوابع عملها على نحو مقصود ومتعمد. هبّت حول القصر من جهته اليسرى واليمنى، ومن أمامه ومن خلفه ومن وسطه. وعمدت لقلب القصر رأساً على عقب، وهزّه بعنف بحثاً عن بيترو. ثم عادت إلى الجمعة المقدسة حاملة أنباء عن وفاة بيترو.

بعد سماعها تلك الأخبار الحزينة، قالت: «اذهبي، وجوبي العالم من أقصاه إلى أقصاه. اجلبي لي بيترو حيّاً أو ميتاً».

هبّت الزوابع والعواصف دون توقف طوال ثلاثة أيام وليال، اقتلعت الأشجار من جذورها، وبحثت في قيعان الأنهار والبحار، وتسللت إلى السحب وزلزلت وجه الأرض. وعندما باءت جهودها بالفشل، عادت منهكة إلى الجمعة المقدسة، باستثناء ريح الربيع الرقيقة، الكسولة والدافئة. وعندما سئلت بقية الزوابع والرياح عنها، احتارت في الإجابة، ترى أين ذهبت تلك الريح؟ فكان معروفاً أنها ضعيفة البنية، وغير قادرة على إنجاز مهام شاقة. وربما لجأت، من شدة التعب، للاستلقاء في مكان ظليل. ولم تشغل الرياح الأخرى فكرها طويلاً في البحث عن رياح الربيع.

Twitter: @ketab_n

وبينما أمعنت التفكير لمعرفة مصير بيترو، واكتشاف مكانه، اهتزت أوراق الشجر برقّة.

لامست نسمات لطيفة الجمعة المقدسة، فخرجت إلى حديقتها وهمست للريح الرقيقة: «ماذا تحملين من أنباء؟».

همست الريح الفتيّة: «جئتك بأخبار حزينة وطيبة في آن معاً. إذ بعد أن أصابني التعب من طول البحث والتنقل من مكان إلى آخر، وصلت إلى بئر فارغة، حسبت أني سأجد فيها بعض الراحة قبل العودة إلى بيتي».

صاحت الجمعة المقدسة بفرح: «وهل وجدت بيترو هناك؟».

«نعم، وإلى جانبه حصانه».

قالت الجمعة المقدسة: «بارك الله فيك، وأسعد أوقاتك. عسى أن تحملي لنا دوماً الأنباء السعيدة».

ثم أمرتها بالتوجه سريعاً إلى ملكة الخميس المقدس، كي تطلب منها الاستعداد وجلب البوتقة الذهبية، لأن بيترو يحتاج إلى المساعدة. ومن هناك، وجب على ريح الربيع أن تتوجه إلى ملكة الأربعاء المقدس كي ترافقها إلى البئر حاملة ماء الحياة.

Twitter: @ketab_n

ثم قالت الجمعة المقدسة للرياح القوية: «هل فهمت ما ذكرته؟ هيّا هبّي بأقصى سرعتك».

ثم انطلقت في صحبتها، وعند وصولها إلى البئر، اكتشفت أنه لم يتبق من بيترو سوى عظام ورماد. حملت ملكة الأربعاء المقدس العظام ورَكّبتها كما كانت قبل وفاة بيترو. ثم أمرت الجمعة المقدسة الرياح بالبحث في قعر البئر عن كل ذرة غبار، إلى أن يتم جمع رماد بيترو.

وقد تمّ لها ذلك. وأشعلت ملكة الخميس المقدس النار، وجمعت داخل البوتقة الذهبية قطرات الندى من الأزهار، وعرضتها إلى اللهب، وما إن بدأت الماء في الغليان، حتى كررت ثلاثة أعمال سحرية، ونظرت جهة الشرق ثم إلى الغرب، وإلى الشمال ثم إلى الجنوب، ورمت بعشبة الحياة في الماء المغلي. وقد كررت الجمعة المقدسة الشيء نفسه مع رماد بيترو. وعدّت الخميس المقدسة: واحد، اثنان، ثلاثة، ثم أخرجت البوتقة من النار. تحول رماد بيترو مع عشبة الحياة إلى عطر فوّاح، لامسته رياح الربيع الرقيقة. ثم طَلت الخميس المقدسة عظام بيترو بذلك العطر سبع مرات متتاليات ابتداء من الرأس حتى القدم. كما طَلت العظام سبع مرات أخرى ابتداء من القدم حتى الرأس.

Twitter: @ketab_n

ثم طُليَ كامل الهيكل العظمي سبع مرات عرضاً وسبع مرات طولاً. وبعد أن تمّ كل شيء، قفز البطل، وقد بدا أجمل وأشجع وأقوى بمئات أضعاف ما كان عليه.

قالت الجمعة المقدسة: «اركب حصانك».

ما إن شعر الحصان باعتلاء سيده صهوته، حتى صهل وضرب بحوافره الأرض، وقد بدا سعيداً كما لم يكن قط.

سأل الحصان بفرح: «إلى أين سنذهب؟».

أجاب بيترو: «إلى القصر».

«كيف ستكون سرعتنا؟».

«كالبرق».

عبّر بيترو عن شكره الجزيل لمن ساعده، ووقف إلى جانبه. ثم قاد حصانه بسرعة قصوى إلى أن وصل إلى القصر، فوجده أثراً بعد عين.

لم يتبق شيء من آثار القصر، سوى الأرض التي بني فوقها. ولم يجد أثراً لأي إنسان يخبره بما جرى. وفي نهاية الأمر، خرجت العجوز بيرشا من قبو مدمّر. وعلم بيترو بما جرى، وأسباب

Twitter: @ketab_n

حدوثه، ثم أدار حصانه ورجع بسرعة من حيث أتى. لم يتوقف كي يأخذ نفساً إلى أن وصل إلى مملكة الساحرة أوروورا. وقد مرّ زمن طويل، لا يعلم كم بلغت مدته، منذ أن أمرت الساحرة أوروورا بإبقاء كل شيء على حاله.

وعند وصول بيترو إلى الجسر، وجد أن الشمس لم ترسل سوى ثلاثة أشعة لامعة، وسبعة دافئة، وتسعة باردة. وقد فقدت جميع الأشعة الباقية.

شعرت الساحرة أوروورا بأن شخصاً ذا أهمية بالغة يقترب من قصرها، فقد شعرت بالإحساس نفسه الذي ساورها عند استيقاظها من الحلم القديم. وقد تاقت نفسها إلى شيء لم تعرف ماهيته ولا اسمه.

سألت بصوت ناعم: «من هناك؟».

قال الحصان: «تشبّث بي جيداً، يا سيدي».

نهز بيترو حصانه، وشدّ لجامه، وسرعان ما وجد نفسه عند الجانب الآخر من الجسر.

صاح الحراس، وقد رموا قبعاتهم في الهواء: «البطل قادم».

Twitter: @ketab_n

لم تتحرك الساحرة من مكانها، ولم تفه بكلمة. اندفع بيترو نحوها وضمها بين ذراعيه وقبلها، كحال الأمراء عند ملاقاة الأحبة.

سيطر على الساحرة شعور لم تعرفه في حياتها. لم تقل شيئاً، ولم تطرح أسئلة، بل أشارت بيدها من أجل إدخال الحصان إلى اصطبلات الشمس. ثم دخلت إلى القصر برفقة بيترو.

وأخذت الساحرات في الابتسام بمرح، وعبقت الأزهار بعطور شذية، وجرت من الينابيع مياه رقراقة صافية. وهبّت نسمات عليلة، ودارت عجلة الحياة بأسرع ما فيها، وسقط الستار الحالك، وأشرقت الشمس وملأّت بنورها الكون.

عاد بيترو إلى وطنه، واسترجع أباه وأمه، وأقيم له حفل عرس وصلت أخباره إلى تسعة وتسعين بلداً. وأصبح إمبراطوراً حكم مملكتين متجاورتين.

وقد استعاد شقيقاه فلوريا وكوستان بصرهما كي يشهدا سعادة وهناء أخيهما. هذه هي حكاية الأمير الوسيم بيترو والساحرة أوروورا، ملكة أرض الشمس.

عاش بيترو وحكم بلاده في سلام وأمان. والله وحده يعلم، ما إذا كان لا يزال حيّاً يحكم بلاده بالعدل والإنصاف.

Twitter: @ketab_n

ISBN 978-9948-01-340-2

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم البحتة والتطبيقية / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة